الباب الخامس

العصر الحديث

الفصل الأول

نظرة عامة

ما زال الزمن الجائر ينقص من أطراف الرقعة العربية حتى قصرها في أواخر القرن الثامن عشر على العراق العربي والشام وبلاد العرب ومصر والسودان والمغرب: وفي تلك البلاد بقي النفس الأخير من أنفاس اللغة العربية يتردد في وناء وضعف، حتى أذن الله لشمس الحضارة أن تشرق ثانية على ربوع النيل، فآرفضَّ عنها الوهنُ وَسرتْ فيها الحياة. ففي مصر كان ملاذها وغياثها، وفي مصر كان بقاؤها وآنبعاثها!

كانت مصر في ذلك العهد تحت سلطان العثمانيين حكماً، وتحت سيطرة المماليك فعلاً. وكانت الأهواء المختلفة، والقوَى المتضاربة، والأجناس المتباينة، تنخر في هيكل هذه الأمة البائسة، فكان عددها لا يبلغ ثلاثة ملايين فشتْ فيهم الأمية. وآستولى عليهم الجهل وألحَّت عليهم الأوباء والسنون. وآستغلهم الظلم وآستعبدهم الحكام. ووقفوا عن السير بأنفسهم، وتحرك الفلك، فغزاهم على هذه الحال الأليمة نابليون.

غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨، وليس من شأننا أن نعرض لهذه الغزوة إلا من جهتها الأدبية. فإن الجماعة العلمية التي صحبت هذا القائد العظيم لم تصدها القلاقل والحرب عن غرس بذور الحضارة في مصر، فأنشأوا مدرستين وجريدتين ومسرحاً للتمثيل، ومجمعاً علمياً، ومكتبة، ومطبعة، ومعامل كيميائية ومراصد فلكية، وسهلوا للناس النظر إليها، والوقوف عليها. فكان صنيع هذه الجماعة أشبه بالقَبس الوضَّاء سطع في ذلك الغيهب الذي احلولك في سماء مصر فبدده، وآستطاع الناس أن ينظروا؛ ولكن ماذا رأوا؟ رأوا أنهم في القرن التاسع عشر، وأن الغرب واقف منهم موقف الإنسان العاقل من الحيوان الأعجم يرميهم بنظرات السخرية وهو دائب في سبيل الحياة الصحيحة، مجدٌّ في تذليل المادة، فبهتوا ودهشوا.

ولكن محمد علي رأس الأسرة الخديوية لم يدهش: بل علم أن ما في الغرب من حضارة وعمارة إنما أساسه العلم. وأكبر ما تركه الفرنسيون بمصر من الآثار الصالحة والأبحاث النافعة على آضطراب حالهم وقصر آحتلالهم، وكان في نفسه الطموح إلى الملك، والاستبداد بحكم مصر والاستعداد له. فأخذ في تعليم المصريين وقد عزَّ فيهم القارىء، فأنشأ المدارس المختلفة الدرجات والغايات في المدائن والقرى وساق الناس إليها قسراً. وآستقدم طائفة من علماء فرنسا للتدريس والتأليف. كالدكتور كلوت بك مؤسس الطبية، وجوماربك مدير البعثة المصرية. وبعث بمن أنجبت تلك المدارس إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ ليستفيدوا ويستزيدوا. فلما عاد أولئك الطلبة وكانوا أربعة وأربعين أخذوا في الترجمة والتعليم. ثم توالت البعوث بعد هؤلاء إلى أوروبا وكلهم من الأزهر الشريف. وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة ساعدتها اليوم على النهوض كما حماها من قبل دون السقوط. وفتحت في القاهرة مدرسة الألسن ودار الترجمة، وأقيمت المطبعة المصرية على أنقاض المطبعة الأهلية التي جاء بها الفرنسيون إلى مصر وذهبت بذهابهم. وأنشئت الوقائع المصرية وهي أول صحيفة عربية في الشرق، فكان ذلك كله وقوداً جزلاً للقبس الذي ألقاه نابليون بمصر ونفخ فيه محمد علي فذكا وآشتعل وآمتد لهيبه إلى الشام إلى سائر بلاد العرب فأيقظ النيام وبدد الظلام. وَحَذَى الأمير بشير الشهابي في لبنان حذو محمد علي في مصر، وأعانه على ذلك دعاة النصرانية من الأمريكان والفرنسيين بإنشائهم المدارس والمطابع وتأليفهم الكتب، وإصدارهم المجلات وتعليمهم التمثيل، وآعتمادهم في كل أولئك على اللغة العربية، حتى تخرج في معاهدهم صفوة الكتاب والشعراء والمترجمين والصحفيين من أهل لبنان، فتكاتف القطران على إحياء اللغة والعلوم، فترجمت الكتب العلمية، ونشرت المؤلفات العربية، ودب في اللغة دبيب الحياة؛ إلا أن آدابها وعلومها لم تزل في يد العفاء؛ لأن محمداً علياً كان مصروف الهم إلى ما يُعْوزُه، كالعلوم الحربية والطبية والصناعية والرياضية، قانعاً من كتَّابه وعماله باللسان العامي، والأسلوب الاصطلاحي. فكانت لغة الدواوين في عهده وعهد أخلافه خليطاً مبهماً معجماً من التركية والعربية.

على أن اللغة المصرية لم تعدم في ذلك العصر أنصاراً. فقد كان لها من أمثال الشيخ حسن العطار، وبطرس كرامة، والسيد علي الدرويش، ورفاعة بك الطهطاوي، من حفظوا كيانها وجددوا بيانها.

وأخذت هذه النهضة المباركة تنمو رويداً حتى ولي الأمر عباس ثم سعيد، فحبا أوارها، ووقف تيارها، لرغبة هذين الأميرين عن والعلم والتعليم.

فلما جلس إسماعيل على أريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م فتح ما أغلق من المعاهد وزاد

عليها. فأنشأ المدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، وعاد إلى إرسال البعوث إلى أوروبا، وأسس نظارة المعارف وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يده للمؤلفين، ونشر ألوية المدنية والسكينة على ربوع البلاد، فنزح إليها الأجانب للكسب والتجارة، وفيهم العلماء والأدباء؛ فكان آختلاط هؤلاء بالمصريين، وكثرة المطابع، ووفرة المدارس، وانتشار الصحافة، وآقتباس التمثيل، وترجمة العلوم، والأندية الأدبية، والمجامع العلمية، وتعلم اللغات الأجنبية؛ ونقل الحضارة الأوروبية ،والحرية الشخصية، كان كل أولئك سبباً في خصب القرائح، وسعة المدارك، ونهوض اللغة، وحياة الأدب.

ثم دهانا الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ م وكل شيء يتحفز للنهوض ويتوثب إلى الرقي، فكأنما ألقيت ماء على نار، أو أقمت سداً في تيار. كانت الحركة العلمية في أواخر عهد إسماعيل واسعة النطاق، والمدارس وافرة العدد، واللغة العربية لسان التعليم ولغة التأليف، فأخذ الإنجليز منذ آغتصبوا السلطان يقطعون أسباب النهضة، ويسيرون بالتعليم إلى وجهة أخرى. فأغفلوا البعوث، وأغلقوا مدرسة الألسن، وأبطلوا المجانية، وأهملوا اللغة العربية، وجعلوا التعليم كله بالإنجليزية، وقصروه على تخريج عمال للحكومة لا إعداد رجال للشعب.

ولكن الأمة المصرية قد آستطاعت أن تقف على رجليها، وأن تمسح عينيها بيديها، فلم ترض النكوص والعالم يتقدم. فهبّ رجالها يطلبون سيادة لغتهم في بلادهم. ويقومون هم بتعليم أولادهم، فعادت اللغة إلى المدارس، ورجعت البعوث إلى أوروبا، وكثرت المدارس الأهلية والأميرية. وشبت ثورة الاستقلال في وجه الاحتلال سنة ١٩١٩ م وردد العالم العربي صداها، فأيقظت ما بقي من شعور خامد، ودفعت النفوس الخانعة إلى طلب الحرية في الحكم، والرأي، والقول، والعقيدة حتى ظفرت مصر من ذلك بقسط موفور في دستورها الذي نالته سنة ١٩٢٣ م.

ثم تابعت الجهاد في سبيل حريتها واستقلالها حتى نالت قسطاً آخر بمعاهدة سنة ١٩٣٦. ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ طلبت مصر من انجلترا تغيير هذه المعاهدة فجرت بين الحكومتين المصرية والإنجليزية أحاديث طويلة لم تؤد إلى اتفاق، لأن مصر أرادت أن تبني المعاهدة الجديدة على أساسين من وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري، وجلاء الجيش الإنجليزي عن وادي النيل. وعارضت انجلترا في الأساس الأول فآلتجأت مصر إلى هيئة الأمم المتحدة وظاهرتها دول الجامعة العربية. فلما عرضت قضيتها على مجلس الأمن بأمريكا، وتولى عَرضها رئيس حكومتها، وكان يومئذ المغفور له محمود فهمي النقراشي، قطع لسان الباطل بالحق، وفند دعاوى

الإنجليز بالحجج الدامغة؛ ولكن مصانعة الدول لشيخة الاستعمار علق القضية فلم يفصل فيها حتى شبت ثورة الجيش المصري بقيادة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فعصفت بالفساد والاستبداد، وطهرت البلاد من فجور الملك وشرور الحكم وطغيان الغنى فطردت فاروقاً ثم أعلنت الجمهورية وحددت الملكية واضطرت الإنجليز إلى الجلاء عن القناة بعد أن اتفقت الدولتان على أن يقرر السودان مصيره بنفسه فإما أن يستقل بأمره وإما أن يتحد مع مصر، وقد اختار الاستقلال وأعلن الجمهورية.

وفي شهر فبراير عام ١٩٥٨ اندمجت مصر وسورية في وحدة تامة باسم الجمهورية العربية المتحدة. وكذلك استقل لبنان وطبق على شعبه النظام الجمهوري وفي الرابع عشر من يوليو من سنة ١٩٥٨ ثار العراق على الملكية وأعلن الجمهورية، ولا تزال فلسطين والجزائر وجنوب الجزيرة العربية يتطلبون الغاية من هذه السبيل، ويترقبون الإصباح بعد الليل المظلم الطويل:

الفصل الثاني

وسائل النهضة الحديثة

كان من آثار الاحتلال الفرنسي، ونزعة الاستقلال عند محمد علي، أن أشرقت من جانب الغرب ومضات من نور المعرفة في آفاق مصر ولبنان فهبت البلاد تسير على ضوئها وتعمل على هداها ـ تلك الومضات هي الوسائل التي تذرع بها رأس الأسرة العلوية وورّاثِهِ على عرش مصر إلى ترقية الجيش وتنشئة الحكومة وتربية الشعب من طريق غير مباشر، وأهم تلك الوسائل:

١ ـ المدارس

لم يجد محمد علي ُفيما يُعلَّم يومئذ بالأزهر من علوم الدين واللسان بغيته من علوم الحرب والطب والرياضة، فأنشأ المدارس العلمية المختلفة وقسمها إلى ابتدائية وتجهيزية وخاصة، ووصل بينها وبين أوروبا يجلب العلماء منها ويبعث البعوث إليها. فلما تعددت درجاتها وتنوعت أغراضها أنشأ لها إدارة خاصة في سنة ١٨٣٩ سميت ديوان المدارس كانت رياسته الأولى لمصطفى مختار بك من رجال البعثة العلمية الأولى. ومن أقوى المدارس الخاصة أثراً في النهضة العلمية والأدبية مدرسة الطب ومدرسة الألسن ومدرسة دار العلوم. فأما مدرسة الطب فقد أنشئت لخدمة الجيش سنة ١٨٣٦ في أبي زعبل وأقيم بجانبها مستشفى لتمرين الطلاب ومعالجة المرضى. استُقدم أساتذتها من فرنسا برياسة الدكتور كلوت بك، وآختير طلبتها من المصريين وغيرهم ثم نقلت في سنة ١٨٣٨ إلى قصر ابن العيني بالقاهرة وإلى هذه المدرسة يرجع أكثر الفضل في إحياء اللغة العربية ووصلها بالثقافة الحديثة؛ لأن الأساتذة كانوا يلقون دروسهم باللغة الفرنسية ثم تؤدى في الوقت نفسه إلى الطلاب باللغة العربية، وكان ذلك يضطر المترجمين من المغاربة واللبنانيين والأرمن إلى البحث عن المصطلحات في المعجمات اللغوية والكتب الفنية القديمة.

وأما مدرسة الألسن فقد أنشأها محمد علي لتخريج المترجمين حين اشتدت الحاجة إليهم في ترجمة الدروس إلى الطلاب، ونقل الكتب الطبية والعسكرية إلى العربية. وجعل

إدارتها إلى المرحوم رفاعة بك الطهطاوي. حتى إذا خرَّجت طائفة من أفاضل المترجمين تألف منهم قلم للترجمة سنة ١٨٤٢ برياسة رفاعة بك آضطلع بترجمة كثير من الكتب العلمية الأجنبية في مختلف العلوم الحديثة.

وأما دار العلوم فقد أسسها المرحوم علي مبارك في سنة ١٨٧١ م بأمر الخديو اسماعيل ليتخصص طلابها في العلوم العربية، ويشاركوا في بعض العلوم الدينية والعقلية، ويأخذوا بقسط من الثقافة الحديثة، وليعلِّموا بعد تخرجهم فيها اللغة والدين في مدارس الحكومة. وكان أساتذتها من نابغي شيوخ الأزهر، وتلاميذها من متقدمي طلابه. ولهذه المدرسة الفضل العظيم والأثر البالغ في ترقية اللغة وإنهاض الأدب وإشاعة الفصحى عَلَى ألسنة خريجيها وأقلام في التعليم والتأليف والكتابة والشعر والخطابة. وقد ظلت مستقلة منذ إنشائها تحمل أمانتها وتؤدي رسالتها حتى ألحقت بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦ وسميت كلية دار العلوم.

٢ ـ الجامعة الأزهرية

الأزهر أول جامع في القاهرة، وأقدم مدرسة في مصر، ومن أعرق الجامعات الكبرى في العالم بناه جوهر الصقلي بعدما خط القاهرة، لإقامة الشعائر الدينية وتأييد الشيعة العلوية من طريق الدين. وحشد إليه أساطين الفقه ونوابغ العلم من أقطار الأرض، وأدر عليهم أخلاف الرزق، ورفع عنهم أكلاف الحياة، دون حساب ولا تقرير، حتى جاء يعقوب بن كلس وزير العزيز باللّه، وهو يهودي قد أسلم وتفقه، فرتب لهم الوظائف وابتنى لهم المساكن على مقربة من الجامع. ثم أخذ هؤلاء الفقهاء يقرأون بعد كل صلاة فقه الشيعة، ويأخذون في سبيل الوعظ، ويميلون إلى شيء من البحث، ويتكلمون في مسائل اللغة والنحو، ويعقدون فيه مجلس المناظرة، حتى زالت دولة الفاطميين، وغلب على مصر زعيم الأيوبيين صلاح الدين سنة ٥٦٧ وهو من أهل السنة فبايع العباسيين، وأحل الفقه الشافعي محل الفقه الشيعي في الأزهر. وقرر فيه كذلك فقه أبي حنيفة لأنه مذهب الخلفاء في بغداد. ورأى صلاح الدين أن يؤلف قلوب المسلمين كافة فأجاز تدريس المذاهب الأربعة فيه. وجرد ذلك إلى بسط العلوم اللغوية والأدبية، والإلمام بالعلوم الرياضية والطبيعية. وزها الأزهر في عهد المماليك بعد سقوط بغداد وآنتقال الخلافة والثقافة إلى مصر، فحفظ اللغة من الزوال، وعلومها من الاضمحلال. وظل وحده يرسل أشعة العلم والدين إلى أنحاء العالم الإسلامي، لا يخرج عالم إلا منه، ولا ينبغ كاتب ولا شاعر إلا فيه. حتى أدركته الغفوة الشرقية العامة في عهد بني عثمان فتجدد العالم وتقدم العلم وآرتقى التعليم وهو جامد على حاله القديم، باق عَلَى مذهبه الموروث. ومع ذلك فقد كان رجاله في صدر العصر الحديث عدة نابليون في تنظيم عمله، وساعد محمد علي في تحقيق أمله، وموئل

اللغة والدين والآداب من عصف المحن وطغيان الجهالة وتغلب الأمية. ولكن مصر هبت من رقادها، ولم تجد الأزهر كما كان كفؤاً لقيادتها وإرشادها، فولت وجهها شطر الغرب تكرع من حياضه وتقطف من رياضه، حتى آتسعت مسافة الخلف بين التعليم الجديد والتعليم القديم، وانتشرت في مصر ثقافتان مختلفتان تناهض إحداهما الأخرى. ثقافة قائمة على الكتب القديمة والطرق العقيمة، وثقافة مبنية على العلم الغربي والتعليم الحديث؛ فلم يكن بد من إصلاح الأزهر ليشارك في النهضة العامة. بدَأت الحكومة الخديوية ذلك في عهد شيخه الشيخ الإنبابي سنة ٣٠٥ هـ فأدخلت فيه بعض العلوم الحديثة بعد ولأى ومشقة وفتوى شرعية ثم تصدى الإمام الكبير محمد عبده لإصلاحه، فوضع الأساس، وحال الأزهريون بينه وبين البناء. ولكن السيل جارّف والتيار قوي فلم يستطع أهله الوقوف في سبيله، فألقوا السلاح، وقبلوا الإصلاح، ولكن إصلاحه استعصى على المصلحين لعوامل سياسة وأخرى دنيوية. فآثروا العافية وفوضوا أمره إلى الزمن.

ثم قسم الأزهر الآن إلى معاهد للتعليم الابتدائي، وأخرى للتعليم الثانوي، وجعل التعليم العالي فيه فروعاً، فكلية للشريعة، وكلية للغة العربية، وكلية لأصول الدين، وقد أنشئت لهذه الكليات دور خاصة منفصلة من الأزهر. ونمت موارده حتى بلغت في العام مئات الألوف من الجنيهات، وزاد طلابه حتى نيفوا على عشرين ألف طالب يساعدهم بالمال والمسكن ومن بينهم العربي والتركي والسوداني والمغربي والإيراني والسعودي والعراقي والهندي والباكستاني والأندونيسي والشركسي والأفغاني وكلهم يتعلمون باللغة العربية ويتغذون بالثقافة الإسلامية، ولهؤلاء أقيمت مدينة على القرب من الأزهر يجد فيها الطلاب الأغراب الغذاء والمأوى.

٣ ـ الجامعة المصرية

كان من أثر سوء النية الذي بدا من المحتلين في سياسة التعليم بمصر وحصره في دائرة ضيقة من نواحي الثقافة، وقصره على تخريج الموظفين للحكومة، أن صحت عزيمة المصريين الأحرار على أن يقوموا هم بتعليم أولادهم، وأن يقيموا للعلم الصحيح وزناً في بلادهم، فآجتمعت طائفة منهم سنة ١٩٠٦ على إنشاء جامعة أهلية تقضي حاجة البلاد من التعليم. وأهابوا بأبناء مصر أن يعاونوا ببذل المال على إنجاح هذا المسعى الخطير، فلبى المحسنون النداء وفي طليعتهم الأميرة فاطمة بنت إسماعيل. وفي سنة ١٩٠٨ افتتحت الجامعة المصرية وأسندت رياسة الشرف فيها إلى الأمير أحمد فؤاد قبل أن يستوي على عرش مصر. فآستقدم إليها طائفة من علماء أوروبا، وآختار لها صفوة من أدباء مصر، فألقوا عَلَى طلبتها من الأزهريين والموظفين محاضرات قيمة في الآداب والفلسفة: وكان من بين

العلماء الأوروبيين المستشرقون جويدي ونلينو ولتمان فنهجوا لدراسة الأدب العربي وتاريخه المنهج القويم الواضح.

وفي سنة ١٩٢٥ تولتها وزارة المعارف فشادت لها الأبنية العظيمة، وآقتبست لها الأنظمة الأوروبية الحديثة، وضمت إليها كليات الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والصيدلة وطب الأسنان، وكانت من قبل ذلك إنما تتألف من كلية العلوم وكلية الآداب، ثم سميت بجامعة القاهرة. ولما اشتدت الرغبة في التعليم وآزداد عدد الطلاب أنشئت في الإسكندرية جامعة ثانية سميث بجامعة الإسكندرية وأقيمت في القاهرة جامعة ثانية سميت بجامعة عين شمس. وفي أسيوط جامعة رابعة سميت بجامعة أسيوط. ومما لا ريب فيه أن هذه الجامعات الأربع جامعة الأزهر وجامعة دمشق قد آتين ثمار العلم، ونشرن أضواء الثقافة ووصلن الماضي بالحاضر، وربطن الشرق بالغرب، وقرنّ العلم بالعمل، ووجهن الحضارة العربية الوجهة الصحيحة.

٤ ـ الطبـــاعة

اخترع الطباعة بالحروف «حنا جوتمبرج» الألماني سنة ١٤٤٠، فكان لاختراعه من الأثر في الأدب والحضارة ما كان. وما كادت تشتهر الطباعة بالحروف في أوروباحتى صيغت منها قوالب للغات الشرقية. وطبع أول كتاب باللغة العربية سنة ١٥١٤ م وأخذت المطبوعات الشرقية ولا سيما العربية تزداد شيئاً فشيئاً حتى صدرت عن أكثر العواصم الأوروبية. وكان منها المؤلفات الجليلة كالعهدين القديم والجديد، ونزهة المشتاق للإدريسي. وقانون ابن سينا، وتحرير أصول إقليدس وما زالت تطبع فيها نفائس الكتب المخطوطة إلى الآن. ثم دخلت الطباعة الشرق عن طريق الآستانة ١٤٩٠ م على يد عالم يهودي طبع بها مؤلفات دينية وعلمية؛ ولكن الحروف العربية لم تظهر فيها إلا سنة ١٧٠٨ م. ومن أشهر المطابع العربية في الآستانة «مطبعة الجوائب» لأحمد فارس الشدياق؛ طبع فيها طائفة كبيرة من عيون الكتب الأدبية. أما في البلاد العربية فكان السبق للبنان في استعمال المطبعة بفضل دعاة المسيحية؛ فقد أسس الرهبان اللبنانيون أول مطبعة ببيروت في أوائل القرن السابع عشر. ثم أسست بها المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ م، ولها الأثر الجليل والفضل الجزيل في نشر المخطوطات العربية القديمة، وطبع الكتب الأدبية والعلمية، وإتقان فن الطباعة العربية، ثم تلت مصر لبنان فدخلتها الطباعة على يد نابليون سنة ١٧٩٨ م، إذ جاء بمطبعة لطبع المنشورات والأوامر بالعربية وسماها «المطبعة الأهلية» ثم ذهبت معه. وأقام محمد علي على أنقاضها المطبعة الأهلية (مطبعة بولاق) سنة ١٨٢١. وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكي السوري، وصبت حروفها على جمل قاعدة نسخية من حجوم مختلفة. ثم صبت ثانية على قاعدة المرحوم جعفر بك كبير الخطاطين في مصر، وهي المستعملة الآن. وقد طبعت نحو

ثلثمائة كتاب في الرياضيات والطب والجراحة مما ترجم عن اللغات الأجنبية وطبعت أمهات الكتب الأدبية بفضل (القسم الأدبي) الذي فصل عنها ووصل بدار الكتب المصرية. ومنذ يومئذ اقتصرت مطبعة بولاق على طبع (الوقائع المصرية) والكتب المدرسية والأعمال الحكومية، وهي الآن أكبر مطبعة عربية في العالم. ثم انتشرت بعد ذلك المطابع في مصر فسهلت سبل الأدب وأدنت قطوف العلم، وساعدت على انتشار القراءة.

٥ ـ الصحـــافة

الصحف مدارس متجولة في البلدان، ليست محصورة بين جدران، ولا يختص بها مكان دون مكان. وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم: تهذّب عقول العامة، وترتب أفكار الخاصة، وتنهض الهمم القاعدة، وتصلح الألسنة الفاسدة، وتقرب الأمم المتباعدة. وهي سجل الأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن. وأول جريدة عربية بالمعنى الفني المعروف هي الوقائع المصرية، أنشأها الأمير محمد علي سنة ١٨٢٨ بمعاونة الأستاذ رفاعة بك الطهطاوي، وكانت تصدر أولاً بالتركية والعربية، ثم حررت بالعربية وتولى تحريرها نخبة من أفاضل الكتاب كالشيخ حسن العطار، والشيخ شهاب صاحب سفينة الملك، والإمام محمد عبده، والشيخ عبد الكريم سلمان، وسعد زغلول. ولا تزال تصدر عن القاهرة ثلاث مرات في الأسبوع. ثم ظهر بعد ذلك في الشام جريدة مرآة الأحوال سنة ١٨٥٥ م وهي سياسية يحررها رزق الله حسون الحلبي؛ وحديقة الأخبار سنة ١٨٥٨ م لصاحبها خليل الخوري؛ والجوائب في الآستانة سنة ١٨٦٠ لأحمد فارس الشدياق؛ وجريدة الرائد التونسي في تونس سنة ١٨٦١ م.

وفي زمن إسماعيل أصدر محمد علي باشا البقلي (اليعسوب) وهي مجلة طبية شهرية بمعونة الشيخ محمد الدسوقي وهي أول مجلة عربية ظهرت في العالم. وفي سنة ١٨٦٦ ظهرت بمصر جريدة سياسية أدبية علمية وهي وادي النيل لأبي السعود أفندي، كانت تصدر مرتين في الأسبوع بالقاهرة. وفي سنة ١٨٦٩ أصدر إبراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال جريدة (نزهة الأفكار) وكانت أسبوعية شديدة اللهجة فألغاها الخديو اسماعيل. وفي سنة ١٨٧٠ م صدرت مجلة روضة المدارس المصرية وهي مجلة علمية أدبية يحررها نخبة من ذوي المكانة في العلم والأدب. ثم صدرت الأهرام سنة ١٨٧٦ م وسياستها عثمانية فرنسية، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى مصرية، والوطن سنة ١٨٧٧ م وهي جريدة طائفية احتلالية. وعلى منهاجها سارت جريدة مصر؛ والمحروسة لصاحبها أديب إسحق سنة ١٨٨٠. وبعد الاحتلال ظهرت المقطم سنة ١٨٨٨ م وهي احتلالية. والمؤيد وهي إسلامية خديوية. واللواء وهي إسلامية وطنية. والجريدة والشعب والسياسة والبلاغ والجهاد وكوكب الشرق والمصري والكتلة والزمان والجريدة المسائية. وتلك هي كبرى الصحف

اليومية والسياسية وكلها تصدر عن القاهرة، وأكثرها آنقطع عن الظهور فلم يبق منها إلا الأهرام والأخبار والجمهورية والمساء وهناك صحف أسبوعية مختلفة كالرسالة والثقافة وأخبار اليوم والمصور وآخر ساعة والتحرير، وشهرية كالمقتطف والهلال والكتاب ومجلة الأزهر في مصر، والأديب والآداب في بيروت، ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجلة المجمع العلمي العربي في دمشق وأكثر المجلات الأدبية الأسبوعية والشهرية قد آحتجب لقلة العون من الحكومة وضعف الرغبة من القراء.

والبحث في سياسة هذه الصحف وتحريرها وتأثيرها يخرج بنا إلى التطويل. ومما لا بد من ذكره أن الفضل في تقدم الصحافة ورقي التحرير والترجمة إنما كان للبنانيين، لسبقهم إلى معرفة اللغات الأوروبية،وخلاطهم للأمم الغربية.

٦ ـ التمثيل

التمثيل بمعناه الحديث لم تعرفه اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي. وكان اللبنانيون أسبق الشرقيين إلى آقتباسه؛ لتخرجهم في المدارس الأجنبية ودراستهم للآداب الإفرنجية. وأول من فعل ذلك منهم مارون النقاش المتوفى سنة ١٨٥٥ فقط مثّل أول رواية عربية سنة ١٨٤٠ م. ولما تبوأ إسماعيل عرش الخديوية شجع الأدباء، وعضد العلماء، وساعد الفنانين. وتم حفر قناة السويس في عهده فاحتفل بافتتاحها ذلك الاحتفال المشهور، ورأى من كرم الضيافة ألا يحرم ضيوفه الأوروبيين مشاهدة التمثيل أثناء إقامتهم بمصر، فآبتنى دارالأوبرا الخديوية وآستقدم لها فرقة أجنبية مثلت رواية (عايدة) بالفرنسية. وورد مصر في أثر ذلك جماعة من أدباء لبنان وفيهم سليم النقاش وأديب إسحق، فمثلوا في الاسكندرية بضع روايات على مسرح زيزنيا سنة ١٨٧١ م ففشلوا، وتخلوا عن الفرقة لأحدهم يوسف خياط، فقدم القاهرة وآتصل باسماعيل ففتح لهالأوبرا وشهد أولى رواياته، وكانت رواية (الظلوم)، فظن أنهم يعرضون به فنفاهم إلى وطنهم. وأقفلتالأوبرا في وجه التمثيل العربي فلم تفتح بعد ذلك إلا لفرقة سليمان القرداحي وزميله الشيخ سلامة حجازي.

لم يكن التمثيل في تلك الفترة الماضية شعبياً وإنما كان حكومياً أرستقراطياً لا يحضره إلا الأمراء والحكام، فلما بنى اسكندر فرح مسرحه في شارع عبد العزيز بالقاهرة وضم إليه الشيخ سلامة حجازي أصبح للجمهور. وكان التمثيل حينئذ بعيداً عن الكمال والذوق لا يرجع إلى فن ولا يعتمد عَلَى قاعدة، وإنما كان أساسه الغناء والمجون استمالة للعامة وإرضاء للدهماء، ولغة الروايات كانت سقيمة ملحونة مسجوعة. وأول خطوة خطاها هذا الفن في سبيل الكمال كانت بفضل الفرقة التي ألفها جورج أبيض بعون الخديو عباس حلمي، وضم إليها صفوة الممثلين الذين خرجهم الزمن وأرشدتهم التجارب. إلا أن هذه الفرقة انحلت بعد قليل لسوء الإدارة وقلة المال وزهادة الجمهور في التمثيل الفني. وظل

التمثيل بعد ذلك يرسب ويطفو تبعاً للحوادث والظروف. على أن حالته الآن وإن لم ترض الباحث من كل وجه لا تدعو إلى اليأس، فقد أنشأت وزارة الثقافة والإرشاد معهداً للتمثيل وألفت فرقة حكومية وفرقاً أخرى مختلفة تنفق عليها نرجو أن يكون لها أثر قوي في إنهاض المسرح بعد أن اعتدت عليه السينما وخذله الجمهور.

٧ ـ المجامع الأدبية

أ ـ المجمع العلمي العربي بدمشق:

كان إخواننا في الجمهورية العربية السورية أسبق الأمم العربية إلى إنشاء المجامع العلمية على ضيق مواردهم وغل سواعدهم، كما كان اللبنانيون أسبقها إلى الترجمة والصحافة والتمثيل فقد أنشىء المجمع العلمي العربي بدمشق في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ١٩١٦ م بعد دخول الأمة السورية في وصاية الدولة الفرنسية إجابة لمقترح الأستاذ محمد كرد علي وزير المعارف السورية يومئذ لأغراض كانت إذ ذاك «تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية، وتلقين أصول البحث والدرس لنبهاء الدراسين. وقد عني هذا المجمع بوضع ما عرض عليه وضعه من الألفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة، وأصلح بعض الأوضاع الإدارية، وقوَّم ما أمكن لغة الدواوين، وصحح بعض أغلاط الكتّاب والشعراء والخطباء، وعاون عدة من المؤلفين والمترجمين على ما هم بسبيله «ضم هذا المجمع صفوة العلماء والأدباء في الشام والعراق ومصر وطائفة من علماء المشرقيات في أوروبا. وأصدر مجلة لنشر دراساته ومحاضراته ومقالاته. وبعد أن اتحدت مصر وسورية في الجمهورية العربية المتحدة حيناً من الدهر أصبح مجمع دمشق ومجمع القاهرة مجمعاً واحداً ومؤتمر سنوي واحد.

ب ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

وفي ١٤ من شعبان سنة ١٣١٥ هـ ٣ ديسمبر ١٩٣٢ م صدر مرسوم ملكي بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية يكون تابعاً لوزارة التربية والتعليم في القاهرة والغرض منه:

١ ـ «أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة، أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتركيب.

٢ ـ أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.

٣ ـ أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

٤ ـ أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية» وهو مؤلف من «أربعين عضواً عاملاً يختارون من غير تقد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية أو بأبحاثهم في فقه هـذه اللغة أو لهجـاتها» وخمسـة وعشرين عضواً مراسلاً في مختلف البلدان الغربية. ومن بين أعضائه العاملين اليوم ثلاثون عضو مصرياً،وعضوان أوربيان فرنسي وإنجليزي، وعضو عن المغرب، وعضو عن تـونس، وعضو عن المملكة العربية السعـودية، وعضـو عن العراق، يـرأسهم الأستاذ أحمـد لطفي السيد. والمجمع يتألف من هيئتين. مؤتمر المجمـع ويتكون من أعضـائه جميعـاً ويجتمع أربعة أسابيع متوالية في كل سنة. ومجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المصريين ويجتمع مرة في كل أسبوع وللمجمع مجلة تنشر ما يقره من البحوث اللغوية والمصطلحات العلمية صدر منها ستة عشر جزءاً، والمجمع يبذل جهوده اليوم في وضع المعجم اللغـوي الكبير، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات العلوم الحديثـة. بعد أن وضـع المعجم الوسيط نحو ألف صفحة ونشره على الناس فقابلوه بالثناء وحسن التقدير.

ج ـ المجمع العلمي العراقي:

تألف في بغداد على غرار المجمع العربي بدمشق. ونشـاطه مقصـور على البحوث والمحاضرات، ونشر المخطوطات.

الفصل الثالث

النثـــر

الكتابـة

كان النافق في صدر هذا العصر من كتب السَّلف كتابان يمثلان مذهبين مختلفين في الكتابة: أحدهما مقامات الحـريري، والآخـر مقدمـة ابن خلدون. فالأول يمثـل الأسلوب الصناعي الأجوف المموّه، والثاني يمثل الأسلوب الطبيعي العامر المحكم. وكانت القلوب لا تزال مأخوذة بسحر المقامات لدقة صناعتها، وذيوع طريقتها، وقصور العقول عن البحث، وعجز القرائح عن التوليد ولكن النابغين من خريجي المدارس المدنية الحديثة الذين وقفوا على آداب الفرنجة آثروا الطريقة الخلدونية على الطريقة الفاضلية، لجريانهـا مع الـطبع، وملاءمتها لروح العصر، ومشابهتها لأساليب الفرنجة، فظهرت مهذبة فيما كتب قاسم أمين، وفتحي زغلول، ولطفي السيد، ومن جرى مجراهم. وآنفـرد بالأسلوب البـديعي رجال دار العلوم ومن يمت بسبب إلى الأزهـر من أمثال الشيـوخ حمزة فتـح اللّه، وتـوفيق البكـري، وحفني ناصف، ومن حذا حذوهم وبدت على أساليب هؤلاء مظاهـر التكلف فأسـرفوا في المحاكاة، وأوغلوا في الصنعة وتشددوا في القياس، وتصعبوا في استعمال اللغة، كما بدت على أساليب أولئك مظاهر التطرف فتجوزوا في القـواعد وتسـامحوا في اللغـة، واستخفوا بجمال الصياغة، وهبطوا إلى مستوى العامية. وفي ذلك العهد نشأت على أقلام عرب لبنان النازحين إلى الأمريكيتين طريقة ثالثة فيهـا الفكرة والـطرافة والحـركة والتنـوع، ولكن فيها الركاكة والتساهل والدخيل والعجمة؛ فكـان من رد الفعل الـذي لا بد منـه لهؤلاء الطرائق الثلاث أن تنشأ طريقة رابعة تأخذ من محاسنها وتخلو من مساوئها فترتضيهـا الأذواق جميعاً تلك كانت طريقة إحياء الأسلوب العربي الخالص مكمل النقص بما فـاته من صـور البيان لانقطاع أهله عن مسايرة التمدن الفكـري الحديث. استبـانت معالم هـذه الطريقـة في نثر المنفلوطي، كمـا استبانت في شعـر البارودي، ثم نهجهـا الكتّاب المـوهوبـون والشعـراء المطبوعون فتميزت بالرقة والدقة والسلامة والرصانة والقصـد. ثم نبغت طائفـة من الكتّاب

جمعوا بين ثقافة الشرق القديم وثقافة الغرب الجديد فبلغوا بالنثر الفني منزلة لم يبلغها في عصر من عصوره. فالأسلوب الذي كتب به المنفلوطي والبشري والرافعي والمازني، ويكتب به العقاد وطه حسين هو ثمرة التطور الحديث في الأدب والعلم والفن والحضارة. وهو وإن اختلف بين الكتّاب في القوة والضعف، والعمق والضحل، والدقة والتجوّز، والتركز والانتشار، يشترك في الصفات الجوهرية للغة وهي الصحة والنقاء والمرونة، وفي الخصائص الأصلية للبلاغة وفي الأصالة والوجازة والتلاؤم.

ولقد تعددت الأساليب في هذا العصر، فكان لكل طبقة أسلوب، كالأدباء والفقهاء والمحامين والصحفيين. وتنوعت الأغراض، فكتبوا فى القانون والسياسة والاجتماع، ونسجوا على منوال ما ترجموه من القصص والروايات الأوروبية.

وعلى الجملة فالمذهب الكتابي المعاصر يجمع كما قلت صفات اللغة الجوهرية وخصائص البلاغة الأصلية، إلى تأثره بالمذاهب الأوروبية والعوامل الاجتماعية والمناحي الثقافية والمعاني الحضرية. والكتاب الذين يتزعمونه اليوم أو يتبعونه نفر من الأدباء الكهول وطائفة من الأدباء الشباب، توفر حظهم جميعاً من علوم اللسان ومفردات اللغة واستنزفوا الشباب في تحصيل الأدب ومعاناته، حتى وقفوا على أطواره وكشفوا عن مخبآته. ويمتاز زعماء هذا المذهب بقسط عظيم من الثقافة الحديثة والاطلاع الواسع والبراعة العجيبة في التوفيق بين القديم المنبعث والحديث المتولد، والتأليف بين الشرق المتخلف والغرب المتطرف، حتى ليقرأهم القارىء البصير بمذاهب الكلام فلا يرجع أساليبهم إلى مذهب من مذاهب العرب ولا إلى مذهب من مذاهب الفرنجة؛ إنما هي أساليب مستقلة تتسم بالشخصية وتمتاز بالأصالة وتنفرد بمكان ظاهر بين أسلوب السلفيين الذي جمد، وأسلوب المتطرفين الذي ماع.

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن هناك من ضَعَفَة الكتّاب قعد بهم وَهنُ السليقة وقلة الاطلاع عن مجاراة البلغاء، فأخذوا يدعون إلى العامية باسم المذهب الجديد. ليس لهؤلاء «المتكاتبين» رَأْيٌ مُوَفَّقٌ نجلهُ، ولا مذهب مؤيد نناقشه، وإنما هم يفكرون ويكتبون بأسلوب أعجمي في لفظ عربي يتعثر بين اللحن والركاكة. فحسبنا أن نسجل هذه الظاهرة دون تعليق عليها ولا بيان لها.

الفن القصصي والروائي

سبق القول في حظ العرب من هذا الفن، وقلنا إن قصورهم فيه كقصورهم في الشعر القصصي لأسباب واحدة ودواع متفقة. فلما أثمرت بواكير النهضة الحديثة اقتبس أدباؤنا فيما اقتبسوا من أدب الغرب القصة الأفرنجية بقواعدها ومناهجها وموضوعاتها. وكان أول من فعل ذلك اللبنانيون لسبقهم إلى مخالطة الأوروبيين والأخذ عنهم، كفرنسيس مراش الحلبي

المتوفى سنة ١٨٧٢، وسليم البستاني المتوفى سنة ١٨٨٤ م وجرجي زيدان المتوفى سنة ١٩١٤. ثم عالجها الكتاب المصريون بعد ذلك علاج المحاكاة لما قرأوا من تلك القصص. وكان أول ما ظهر طائفة من القصص والأقاصيص المترجمة، بعضها كان أشبه بالاقتباس لبعده عن أصله بالحذف أو بالزيادة أو بالتغيير كغصن البان لنجيب الحداد، والفضيلة لمصطفى المنفلوطي. والبؤساء لحافظ ابراهيم، وبعضها دقيق الترجمة شديد المطابقة كمرغريت للدكتور أحمد زكي، وابن الطبيعة لإبراهيم عبد القادر المازني، وآلام فرتر ورفائيل وأقاصيص من الأدب الفرنسي لصاحب هذا الكتاب. وقد كانت هذه القصص المنقولة على علاتها أساساً للنهضة القصصية الحديثة في الشرق العربي احتذاها الشباب واستوحاها الكتّاب، لأن المدرسة العربية في مصر وفي غير مصر ظلت على أساليب البلاغة القديمة فلم يدخل في برامجها الأدبية تعليم الفن القصصي والروائي على الطريقة المرسومة في المدرسة الأوروبية. فلما ارتقى الفن الكتابي في الأسلوب الذي علمته في الفصل السابق، وأخذت القصة العربية تتميز بطابعها وتستقل بموضوعها ظهرت طائفة من القصص الفنية القوية كزينب لمحمد حسين هيكل، والأيام لطه حسين. وإبراهيم الكاتب للمازني، وسارة للعقاد، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم، وبداية ونهاية لنجيب محفوظ.

وأما المقامات فقد انقضى أمرها وذهب عصرها بذهاب الصناعة اللفظية من الأدب الحديث. وكان آخر من قلد الحريري فيها الشيخ ناصيف اليازجي، ونقولا الترك من الكتّاب اللبنانيين. أما المصريون فقد اقتبسوا الطريقة، ولكنهم وسعوا الحادث ونوعوا الموضوع، كما فعل محمد المويلحي في حديث عيسى بن هشام، وحافظ إبراهيم في ليالي سطيح، فقد احتفظا بالمنهج والأسلوب، وأسهبا في الموضوع بالاستتباع والاستطراد حتى أصبح عملهما وسطاً بين المقامة والقصة.

تلك حال الفن القصصي. وأما الفن الروائي أو المسرحي، فظل غريباً عن الأدب العربي لا يألفه ولا يعرفه حتى علمه من الأدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل. فهبت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أو زاروا البلاد الأجنبية يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يتجهزوا له بجهازه، ويستعينوا عليه بأداته، فالتوى عليهم وأعضل حتى كاد يسمهم بالعجز عنه. اللهم إلا ما كان من أمر شوقي فقد حاول أن يسد النقص الموروث في الشعر العربي فاستحدث الشعر التمثيلي وخطابه في طريق الكمال خطوة موفقة بنظمه روايات: علي بك الكبير، وكيلوبترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعنترة، والست هدى. ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الغاية وعلى نهجه المعبد سار الشاعر عزيز أباظة في رواياته قيس ولبنى والعباسة، والناصر وشجرة الدر وقد أخذت الجمهورية العربية المتحدة تهيء للفن القصصي والروائي أسباب الوجود بمكافأة الكتاب ومساعدة الممثلين فعسى أن يسفِر أملها عن وجه النجاح فتتم بداءة الخديو إسماعيل، في إيجاد هذا الفن الأدبي الجميل.

الفصل الرابع

أساطين النهضة الحديثة

في مصر والشام والعراق والمغرب

ممن نبغ من المصريين في هذا العصر وقوّى هذه النهضة برَوحِه ورُوحه، الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المعروف باسمه، درس في الأزهر دراسة كاملة، ثم آتصل بالفرنسيين أيام احتلالهم مصر فاستكتبوه في الديوان ثم آنقطع للتأليف فصنف كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ثم توفي سنة ١٨٢٥ م ثم الشيخ محمد المهدي شيخ الجامع الأزهر وأحد أعضاء الديوان الخصوصي لنابوليون، وُلد قبطياً ثم أسلم ودرس في الأزهر حتى رأسه. ألف كتاب تحفة المستيقظ الآنس، في نزهة المستنيم الناعس، وهو أشبه بألف ليلة وليلة، وكانت وفاته سنة ١٨١٥ م. ثم الشيخ حسن العطار وهو ناظم ناثر، ولد بالقاهرة ثم تعلم بالأزهر واتصل بالفرنسيين ورحل إلى الشام فأحدّ ذلك من فهمه وزاد في علمه. ثم تولى التدريس في الأزهر ورقي إلى أن صار شيخاً له، وتوفي سنة ١٨٣٣ م. ثم السيد علي الدرويش شاعر الأمير عباس الأول، نشأ في القاهرة وعاش موفور الكرامة بشعره. وقد جمع شعره أحد تلاميذه في ديوان سماه: الإشعار بحميد الأشعار. وكانت سنة ١٨٥٣ م. ثم الشيخ شهاب الدين صاحب سفينة الملك، ولد بمكة ثم وفد إلى مصر ليتعلم في الأزهر فنبغ في الأدب وألمَّ بالحساب والهندسة والموسيقى، ثم اشتغل بالتحرير في الوقائع والتصحيح في مطبعة بولاق حتى توفي سنة ١٨٥٧ م. ثم رفاعة بك الطهطاوي أحد أركان النهضة العلمية، ومدير المدرسة التجهيزية، ومنشىء الوقائع المصرية، ولد بطهطا وتعلم في الأزهر، وأرسله محمد علي فيمن أرسل إلى فرنسا فأتم دراسته ثم عاد فعكف على التحرير والترجمة والتأليف والتعليم حتى وافاه حمامه سنة ١٨٧٣ م. ثم الشاعر محمود صفوت الساعاتي نشأ في القاهرة وتوفي بها سنة ١٨٨٠ م. ثم الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الشاعر المطبوع واللغوي الحجة والمؤلف النابه، ولد في أبيار من أعمال الغربية ثم ثقف العلم بالأزهر واتصل بإسماعيل فجعله إمامه ومفتيه. ثم أتاه اليقين سنة ١٨٨٨ م. ثم

العلامة الشيخ حسين المرصفي شيخ المعلمين وعمدة المؤلفين وصاحب الوسيلة الأدبية في العلوم العربية. تخرج في الأزهر وعلم به ورزق ما يرزُقه مكفوفو البصر من لطف الحس وذكاء الفؤاد. توفي سنة ١٨٨٩. ثم الأديب الشاعر عبد اللّه باشا فكري ناظر المعارف في عهد إسماعيل، ومؤلف الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية. توفي سنة ١٨٨٩ م. ثم المصلح الكبير علي مبارك باشا منظم المدارس المصرية، ومنشىء المكتبة الخديوية (دار الكتب)، ومؤلف الخطط التوفيقية، وقصة علم الدين. شارك في علوم كثيرة، وتقلب في مناصب خطيرة، منذ ولاية محمد علي إلى عهد توفيق. ثم توفي سنة ١٨٩٣ م. ثم الأديب القدير السيد عبد اللّه نديم خطيب الثورة العرابية، وله ترجمة خاصة ثم المترجم البارع محمد عثمان بك جلال ناقل أمثال لافونتين في كتابه العيون اليواقظ، ومترجم ترتوف وبول وفرجيني إلى العامية، ومؤلف السياحة الخديوية في الأقاليم المصرية، توفي سنة ١٨٩٨ م. ثم السيدة الفاضلة عائشة التيمورية، نبغت في الشعر العربي والتركي وخلفت في كل منهما ديواناً. ولها غيرهما كتائب نتائج الأحوال في الأدب ولدت بمصر سنة ١٨٤٠ م، وتوفيت بها سنة ١٩٠٢. ثم الاجتماعي الألمعي والكاتب المفكر قاسم بك أمين محرر المرأة المصرية، وأحد رسل الإصلاح الاجتماعي، ومؤلف كتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة، وأثرهما في النهضة النسائية معروف. توفي سنة ١٩٠٨. ثم الخطيب المِصْدَع، والسياسي المجرب، والوطني الصادق، والصحافي البارع، مصطفى باشا كامل، وله ترجمة خاصة ثم الفقيه المحقق، والمترجم البارع، فتحي باشا زغلول، شارح القانون المدني، ومؤلف كتاب المحاماة، ومترجم كتب جوستاف لوبون، ومحرر القوانين المصرية. توفي سنة ١٩١٤ م. ثم الكاتب الرشيق السيد مصطفى لطفي المنفلوطي، وله ترجمة خاصة. ثم العبقري الفذ والمحامي المدْرَه والأصولي البارع، والخطيب المصقع، والكاتب النابغ والسياسي المحنك، سعد باشا زغلول وله ترجمة خاصة. ثم اللغوي المؤرخ المحقق أحمد باشا تيمور صاحب الخزانة التيمورية، ومعجم اللغة العامية، والمؤلفات القيمة، والمقالات الممتعة في اللغة والتاريخ. توفي سنة ١٩٣٠ م. ثم الكاتب الناقد الرقيق محمد بك المويلحي صاحب حديث عيسى بن هشام، توفي سنة ١٩٣٠ م. وله ترجمة خاصة ثم أمير الشعراء وخليفة المتنبي أحمد بك شوقي وله ترجمة خاصة. ثم شاعر النيل، وأديب الشعب، محمد حافظ بك إبراهيم وله ترجمة خاصة. ثم الأديب المطلع والمثقف النابغ أحمد زكي باشا صاحب الخزانة الزكية، ومحي المؤلفات العربية، وناشر الثقافة الإسلامية، توفي سنة ١٩٢٤.

وممن نبغ من اللبنانيين والسوريين المعلم الشاعر بطرس كرامة الحمصي مادح الأمير بشير الشهابي ومعلم ولده وموضع ثقته. جمع شعره في ثلاثة دواوين لم يطبع إلا واحد منها. توفي سنة ١٨٥١. ثم الفيلسوف الشاعر فرنسيس مراش الحلبي أقدم دعاة الحديث؛ وأول رسل التجديد، ومؤلف طائفة من الكتب المفيدة. توفي ضريراً سنة ١٧٨٣ م. ثم الصحفي

المنشىء أديب إسحق، رئيس قلم الإنشاء في نظارة المعارف المصرية على عهد توفيق، ولد بدمشق ودرس فيها ثم رحل إلى مصر فلقي جمال الدين، وكان له أثر ظاهر في النهضة الأدبية الحديثة، توفي سنة ١٨٨٥ م. ثم المصلح الاجتماعي والكاتب السياسي الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتابي (طبائع الاستبداد) (وأم القرى)، جاب أكثر الممالك الإسلامية، ثم ألقى عصاه بمصر سنة ١٩٠٢م. ثم الكاتب الأديب جميل المدور صاحب حضارة الإسلام في دار السلام، ولد ببيروت وتوفي فيها سنة ١٩٠٧ م. ثم الأديب الكبير، والصحفي البارع، والمترجم القدير، الشيخ نجيب الحداد، امتاز بكثرة ما نقل، ووضع من الروايات التمثيلية، ثم توفي في ريعان شبابه سنة ١٨٩٩ م ثم العلامة المؤرخ الحجة اللغوي الثبت الشيخ طاهر الجزائري عالم دمشق وأديبها توفي سنة ١٩٢٥ م. ثم المؤرخ النابه، والصحفي النابغ، والقصصي المبدع، جرجي بك زيدان، منشىء الهلال، ومؤلف طائفة من الكتب القيمة في التاريخ والأدب، واللغة والاجتماع، ورائد الفن القصصي التاريخي في الشرق. توفي سنة ١٩١٤ م. ثم الفيلسوف المحقق، والصحفي المجدد، الدكتور يعقوب صروف منشىء المقتطف وأحد رسل العلم الحديث، توفي سنة ١٩٢٧ م.

وممن نبغ في العراق آل الآلوسي، وأشهرهم العلامة الفقيه شهاب الدين الآلوسي صاحب التفسير الشهير المرسوم بروح المعاني في تسعة مجلدات. توفي ببغداد سنة ١٨٥٤ م. ثم حفيده السيد محمود شكري الآلوسي أديب العراق ومؤلف كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب في ثلاثة مجلدات، توفي سنة ١٩٢٣ م. ثم الشاعر الرقيق عبد الغفار الأخرس المتوفى سنة ١٨٧٣ م. ثم الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي المتوفى سنة ١٩٣٧ م، وله ترجمة خاصة. ثم العلامة اللغوي الأب أنستاس ماري الكرملي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة المتوفى سنة ١٩٤٧ م.

وممن نبغ في المغرب الكاتب السياسي المصلح محمد بيرم مؤلف الرحالة الموسومة بصفوة الاعتبار بمستودع الأمصار، في خمسة أجزاء. وفد إلى مصر فأنشأ بها جريدة «الأعلام» وآتخذها مُقامه حتى توفي سنة ١٨٨٩. ثم الوزير العالم خير الدين باشا صاحب كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وهو من خير ما كتب في بابه. سمت به كفايته إلى أن تقلد الوزارة في تونس، والصدارة العظمى في الآستانة، وتوفي سنة ١٨٩٠ م. ثم الفقيه السياسي المصلح السيد عبد الحميد بادريس الجزائري المتوفى سنة ١٩٤٠ م. ثم الشاعر الشاب الثائر الحر أبو القاسم الشابي التونسي سنة ١٩٢٤.

ثم بقيت طائفة من نابغي الكتاب والشعراء والأدباء والخطباء، آثرنا أن نخصهم بشيء من التفصيل والتحليل.

الكُتّـاب

٨١ ــ جمـال الديـن الأفغـاني

١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م

١٢٥٣ ـ ١٣١٤ هـ

حياته وأعماله:

ولد السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر بقرية أسد آباد من أعمال كـابل ببـلاد الأفغان في بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالة النسب إلى الحسين سؤدد الإمارة على بعض الأقاليم الأفغانية. ثم درج في بيئة تعتز بطباع البداوة من حرية وحميـة وأريحية وأنفـة. ثم تحول أبوه إلى كابل وهـو في الثامنـة من عمره فتلقى فيهـا مبادىء العلوم العـربية والأدبيـة والشرعية والعقلية وعلى منهاج محيط شامل. ثم حذق في مراحـل حياتـه ومواطن رحـلاته اللغات العربية والأوردية والفارسية والتركية والفرنسية، وألمَّ بالإنجليزية والروسيـة، فآتصـل منها بثقافة الشرق والغرب في القديم والحديث. ثم أخذ يطوِّف ما شـاء اللّه أن يطوِّف في أقطار الهند وإيـران والحجاز ومصـر وتركيـة وإنجلترا وروسيـا فآزداد بصـراً بأحـوال الدول وأخلاق الشعوب. ثم كان رضي اللّه عنه متواضع النفس لأنه عظيم، جـريء الصدر لأنـه حر، ندي الراحة لأنه زاهد، ذرب اللسان لأنه قرشي، أبي الضيم لأنه أمير، حادّ الطبع لأنه مرهف، صريح القول لأنه رجل. ولم يبتـغ من وراء هذه الصفـات ـ كما قـال ـ إلا سكينة القلب. وكان يحمد اللّه على أن آتاه من الشجاعة ما يعينه على أن يقول ما يعتقد ويفعل ما يقول. ومن امتزاج هذه الشمائـل وتلك الوسـائل فيـه اتسعت حولـه الأرض، وآمتد أمـامه الأفق، وآنصرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامي كله، والشرف الإنساني كله، فجعل قصده ووكده أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفـع غائلة المستعمر، وبالحكومة الدستورية لتقمع شرّه المستبد.

وقد آمن من هذه الدعوة إيمانه باللّه حتى رأى في سبيلها السجن رياضة والنفي سياحة والقتل شهادة!

وكان الذين يقفون من سيرة الأفغاني على الهامش يظنون أنه قصر جهـده في تحقيق

---

٨١ ـ انـظر تـرجمتـه في: تـاريـخ الصحـافـة العـربيـة: ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٩، ودائـرة المعـارف الإسـلاميـة: ٧/٩٥ ـ ١گ١، وزعماء الإصلاح: ٥٩ ـ ١٢٠، وحاضر العالم الإسلامي: ٢/٢٨٩ ـ ٣٠٣، وانـظر الأعلام للزركلي: ٦/١٦٨ ـ ١٦٩.

هذه الدعوة على الكتابة والخطابة. والواقع الذي لا شك فيه أنه فكر ثم قدّر ثم دبر، ولكن الوحدة كانت من الشتات بحيث لا تلتئم، والاستبداد كان من الثبات بحيث لا ينهزم.

تولى الوزارة وهو في ريِّق شبابه لأمير الأفغان محمد أعظم، فجمع نفسه على الاستقلال، ودار أمره على الشورى، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة، فأرسلوا ذهبهم إلى منافسه فأضرم الثورة وفرّق الكلمة وطرد الأمير. وخرج السيد إلى الهند يبتغي السكينة عند تاجر صديق، فآستقبله الإنجليز على الحدود، وأنزلوه بالإكراه ضيفاً على الحكومة. فسألهم الإقامة شهرين، ولكنهم حين رأوا إقبال الناس عليه، وإصغاءهم الشديد إليه، قصَّروا هذه المدة وأمروه بالخروج. وكادت الأعصاب الهندية المخدرة تثور حين قال لزعماء الهنود وهو راحل:

«وعزة الحق وسر العدل، ولو أن ملايينكم مُسخت ذباباً لأخرجت الإنجليز بطنينها من الهند. ولو آنقلبت سلاحف وخاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتها إلى القاع».

وفي الآستانة استقبله الصدر الأعظم استقبال التجله، وأحله أعيان الدولة محل الكرامة. ثم عين عضواً في مجلس المعارف، فرأى في التعليم رأياً وخطب في الصناعة خطبة؛ أحفظا عليه أعوان الجهل من رجال العلم وإخوان الضلال من شيوخ الدين. وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة في نفسه، فآعترى على الرجل الأباطيل، وبس حواليه التمائم، فلم يجد الأفغاني بداً من النزوح إلى القاهرة.

وهنا وجد الصدر الأرحب في رياض باشا، فتجلت عبقريته في التعليم والتنبيه والتوجيه. وأوفد بالزيت المقدس شعلته الوهاجة في البيت وفي القهوة. فعشا على ضوئها الهادي طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة. ثم اتخذ من المحفل الماسوني الذي أنشأه منارة لهذه الشعلة، فقسم الاخوان العاملين فيه شعباً لكل وزارة من وزارات الدولة شعبة. فشعبة الحرية تنظر في ظلامة الضباط المصريين، وتنذر (ناظر الجهادية) أن ينصفهم من الضباط الجراكسة. وشعب الحقانية والمالية والأشغال تنذر وزراءها أن يساووا المصريين بغيرهم في العمل والمرتب، وراع أُولي الأمر ما قرأوا في تقارير الشعب، وما سمعوا من لغط الموظفين، وما رأوا من قلق المثقفين، فآستدعاه الخديوي توفيق وفاوضه في ذلك فقال له فيما قال: «إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب في حكم البلاد عن طريق الشورى». ثم ازداد جمال الدين إمعاناً في حملته، وانقلب الأدب كله أصداء لأحاديثه وأبواقاً لدعوته، حتى انتهى الأمر ـ بعد جهاد ثماني سنوات إلى أن ضاق الإنجليز بسعة نفوذه، فزينوا للخديو أن يخرجه من مصر فأخرجه.

وآنتقلت الشعلة إلى باريس، وسطعت في (العروة الوثقى)، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهراً تومض في جنبات الشرق كما تومض المنارة في ظلمات المحيط، حتى دلت

على أوكار الطغيان ونمت بأسرار القرصنة، فآستقدمه شاه العجم واستوزره، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه. واستزاره قيصر الروس واستخبره، فلما نبأه بحديث الشورى نفر منه. واستدعاه خاقان الترك واستشاره، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الإمبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أمراء عثمانيون زوى عبد الحميد ما بين عينيه؛ ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع، وظل على إكرامه واحترامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع، ولكن الموت استطاع أن يكبل الثائر الحر ليبلغ الاستبداد أجله المقدور فمرض بالسرطان في الآستانة وتوفى به في اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٩٧ م.

نموذج من نثره:

كتب إلى عبد اللّه باشا فكري يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو عَلَى مسمع منه، فسكت ولم يدافع عنه:

مولاي! إن نسبتك إلى هوادة في الحق وأنت ـ تقدست جبلتك ـ فطرت عليه وتخوض الغمرات إليه، فقد بعت يقيني بالشك وإن توهمت فيك حيداناً على الرشد، وجوراً عن القصد وأنا موقن أنك ما زلت على السداد غير مفْرط ولا مفَرط فقد استبدلت علمي بالجهل. ولو قلت: إنك من الذين تأخذهم لا في الحق لومة لائم، وتصدهم عن الصدق خشية ظالم، وأنت تصدع به غير وان ولا ضجر، ولو ألّب الباطل الكوارث المردية، وأجرى عليك الخطوب الموبقة لكذبت نفسي وكذبني من يسمع مقالتي، لأن العالم والجاهل والفطن والغبي كلهم قد أجمعوا على طهارة سجيتك، ونقاوة سريرتك واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت، والحق معك أينما كنت، لا تفارق المكارم ولو اضطررت وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر أبداً؛ ولا تصدر عنك نقيصة قصداً، ولاتهن في قضاء حق، ولا تني عن شهادة صدق ـ ومع ذا وهذا وذاك إنك مع علمك بواقع أمري، وعرفانك بسريرتي وسري، أراك ما ذدت عن حق كان واجباً عليك حمايته، ولا صنت عهداً كانت عليك رعايته، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أني ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شراً، ولا أسررت لأحد في خفيات ضميري ضراً. وتركتني وأنياب النذل اللئيم (فلان) حتى نهشني نهش السبع الهرم العظام، ضغينة منه على السيد إبراهيم اللقاني وإغراء من أعدائي أحزاب (فلان)! ما هكذا الظن بك، ولا المعروف من رشدك وسدادك؛ ولا يطاوعني لساني ـ وإن كان قلبي مذعناً بعظم منزلتك في الفضائل مِقراً بشَرف مقامك في الكمالات ـ أن أقول: عفا اللّه عما سلف، إلا أن تصدع بالحق، وتقيم الصدق، وتظهر الشهادة إزاحة للشبهة، وإدحاضاً للباطل، وإخزاء للشر وأهله. وأظنك قد فعلت أداء لفريضة الحق والعدل. ثم إني يا مولاي أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى باريس مسلماً عليكم، وداعياً لكم ـ والسلام عليكم وعلى أخي الفاضل البار أمين بك.

٨٢ ـ الأستاذ الإمـام محمـد عبـده
١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م
١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته:

وُلد محمد عبده بن عبده بن حسن خير اللَّه بمحلة نصر من إقليم البحيرة بمصر ونشأ نشأة الأوساط من القرويين، فآستظهر القرآن في كتّاب القرية، وأرسل في طلب العلم إلى الجامع الأحمدي فالأزهر الشريف، ولكنه مُنيَ في أول دراسته بمعلمين غير أكفاء لقّنوه المسائل من غير تفهيم فسئمها وفرّ. فلما ذاق حلاوة العلم صبر عَلَى مرارة التعليم، واستغرق وسعه في الدرس حتى نال في قليل من الزمن كثيراً من العلم. ولم يكن منهاج التعليم الأزهري في ذلك العهد كفيلاً بتخريج الطالب كما كان الإمام صحيح الحكم، وثيق الحجة، ساحر البيان، غزير العلم، كريم الخلق، ثابت البصيرة؛ ولكن السيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق وفيلسوف الإسلام هو الذي جمَّله بهذه الصفات وكمله بتلك العلوم. وردَ ذلك الحكيم مصر في عهد إسماعيل فورد شِرْعته أذكياء الطلاب، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها. وكان الإمام آثرهم عنده وأوفرهم حظاً منه، حتى قال فيه وهو مفارق مصر: إني خلفت في مصر خيراً كثيراً في علم الشيخ محمد عبده».

فلما رحل عن مصر جمال الدين استأنف الأستاذ النظر في العلوم وآستقى الدين من مشارعه الصافية حتى أصبح إماماً في العلوم العقلية والنقلية واللسانية، فنال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ. ثم اختير مدرساً للأدب والتاريخ بدار العلوم ومدرسة الألسن، وأسندت إليه بعد ذلك رياسة تحرير الوقائع الرسمية وإصلاح اللغة العربية.

ثم أخذت مبادىء الأفغاني تزكو في القلوب وتهفو بالنفوس، حتى أفضت إلى الثورة العرابية، وكان الاستاذ ممن شايع وبايع وأفتى بخلع الخديو توفيق فحكم عليه بالنفي. فقصد سورية ولبث فيها ست سنين شرح في أثنائها كتابي نهج البلاغة ومقامات البديع. ثم غادرها إلى باريس حيث كان جمال الدين، فأنشآ معاً جريدة (العروة الوثقى) ونشرا بها دعوة الدين والعلم والأدب والإصلاح؛ فآهتزت لها القلوب الطيبة في العالم الإسلامي، ولكنها لم تدم طويلاً. وآستهوى الأستاذ ما رأى وسمع من حضارة الغرب وعلومه فطمعت نفسه إلى الأخذ منها بنصيب، فآبتغى الوسيلة إلى ذلك بتعلم اللسان الفرنسي فتعلمه في بضعة أشهر.

---

٨٢ ـ انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ص ٢٨٠، ومذكرات عناني: ص ١٨٧، والفكر السامي: ٣٦/٤، ومشاهير الكرد: ١٥٧/٢، ومجلة الحج: ٣٢٢/٧، ومعجم المطبوعات: ١٦٧٧، والأعلام للزركلي: ٢٥٢/٦ ـ ٢٥٣.

ثم شمله العفو الخديوي فعاد إلى وطنه نير القلب غزير العلم محنك السن، وعين مستشاراً في محكمة الاستئناف، وعني بتدريس البيان وتفسير القرآن بالأزهر. فكان درسه مجمعاً لرجال القانون والأدب والصحافة والتعليم. وتولى منصب الإفتاء فظل فيه حتى توفاه اللّه بالسرطان في الإسكندرية ودفن بالقاهرة.

صفاته وأخلاقه:

كان الأستاذ ربع القامة، أسمر اللون، قوي البنية، حاد البصر، بليغ العبارة، فصيح اللسان، ذكي القلب، شديد العارضة، قوي الحافظة. وكان أشبه بابن خلدون في كبر نفسه، وصفاء عقله، وبعد نظره، وقوة جأشه وكرم خلقه، وصراحة قوله، حتى في خصوصية زيِّه. وقد كابد مثله في رضا الحق ومحاربة البدع سخط الخاصة وغضب العامة، شأن زعماء الإصلاح في كل أمة.

أثره في اللغة والأدب:

كانت اللغة في عهده فريسة العجمة رهينة البلى فجاهد في إنقاذها وإحيائها حق جهاده: كان وهو يحرر الجريدة الرسمية يراقب ما ينشر في الصحف ويكتب في الدواوين، ويدمج الفصول في نقص الأساليب وخطأ التراكيب، وينشر نماذج من تلك الكتابات السقيمة العقيمة ويدل على عيوبها، ويكتب غيرها في موضعها تعليماً للكتّاب وتدريباً للناشئة. ثم سلك في التدريس غير سبيل الأزهريين، فقرأ كتَابَيْ عبد القاهر في البلاغة بأسلوب يملك الأسماع والقلوب، وفسر كتاب اللّه بلسان رسوله. فكان في درسه خطيباً جزل المنطق قوي المعارضة لا تدركه حَبْسةٌ ولا يرهقه حصرٌ. فأفاد الطلاب ببيانه مثل ما أفادهم بتبيينه. وهو الذي ساعد على إحياء الكتب العربية، وسن في الأزهر تدريس الأدب وآعتضد في الأول بالإمام محمد محمود الشنقيطي، وآعتمد في الثاني على أستاذنا سيد بن علي المرصفي.

أثره في العلم والدين:

غام أفق الدين بسحب البدع والأضاليل، فطلع الأستاذ من فكره وعلمه نيراً بدد غيوم الباطل، وجدد رسوم الحق. ورأى العلم قد أخذ ينغِضُ إلى الدين رأسه، فوقف بينهما موقف المؤلف الموفق، كما فعل ابن سينا وابن رشد من قبل، وأخذ يفسر القرآن بلسان العلم والعقل، وكتب رسالته في التوحيد بقلم عبد القاهر فقرب العقائد من الأفهام، وحسر عنها ظلال الإبهام. وسمع ألسنة المبشرين والمستعمرين تمتد إلى جوهر الإسلام بالإفك، فقطعها بالأدلة النواهض والحجج الملزمة. وكتاب (الإسلام والنصرانية) ورده على هانوتو الفرنسي من تلك الأسلحة التي أجهزت عَلَى تلك الشُّبه المدفوعة.

وجملة القول أن الإمام محمداً كان من أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحققين

الذين يصطفيهم اللّه من خلقه لنصرة حقه، فيجددون حبل الدين، ويشيدون أركان العلم، ويدفعون عن الأرض الفساد.

أسلوبه:

للأستاذ في الترسل أسلوب خاص كأنه قِطع الرياض، تقرأه في الردود والمقالات: وقد ينحو في رسائله نحو ابن العميد فيتكلف السجع ويكلف بالصنعة؛ ويقصد قصد الجاحظ في تأليفه، فتتساوق أغراضه، وتتراصف فِقره. فهو متصرف في أنواع الكلام يلبس كل معنى ما يلائمه من الأساليب. أما الشعر فما علمناه يقرضه. ولكن الناس رووا له أبياتاً قالها في سياق الموت وهي:

ولست أبالي أن يقال محمدٌ ... أبلّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم
فيا رب إن قدرت رُجْعَى قريبة ... إلى عالم الأرواح وآنقض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضيء النهج والليل قائم

نموذج من نثره:

كتب إلى بعض علماء الشام جواباً عن كتاب هنأه فيه بمنصب الإفتاء، وقد شكا فيه الإمام ما كابده من عنت الشيوخ في سبيل الاصلاح:

أنصفني قومك إذ سُروا بنيلي الإفتاء، ولعل ذلك لشعورهم بأنني أغير الناس على دين اللّه، وأضراهم بالدفاع عن حماه، وأدراهم بوجوه الفرص عند سنوحها، وأحذقهم في انتهازها لإبلاغ الحق أمله، أو يبلغ الكتاب أجله، على أنهم مني بحيث لا يفسد نفوسهم الحسد، ولا يتقاذف بأهوائهم اللدد. وكل ذي دين يشتهي أن يرى لدينه مثل ما أحت إليه عزيمتي، وأخلص له في العمل لتحقيقه نيتي، خصوصاً إن كفى فيه القتال، ولم يكلف بشد رحال ولا بذل أموال.

أما قومي فأبعدهم عني أشدهم قرباً مني. وما أبعد الإنصاف منهم؟ يظنون بي الظنون، بل يتربصون بي ريب المنون، تسرعاً منهم في الأحكام، وذهاباً مع الأوهام، وولوعاً بكثرة الكلام، وتلذذاً بلوك الملام. أقول فلا يسمعون، وأدعو فلا يستجيبون، وأعمل فلا يهتدون، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون، بل يفرون إلى حيث يهلكون شأنهم الصياح والعويل، والصخب والتهويل، حتى إذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

وأقول ولا في الخير.

وإنما مثلي فيهم أخ جهله إخوته، أو أب عقته ذريته، أو ابن لم يحن عليه أبواه

وعمومته، مع حاجة الجميع إليه، وقيام عَمَدِهِم عليه. يهدمون منافعهم بإيذائه، ولو شاؤوا لاستبقوا بآستبقائه، وهو يسعى ويدأب، ليطعم من يلهو ويلعب. على أني أحمد اللَّه عَلَى الصبر، وسعة الصدر، إذا ضاق الأمر، وقوة العزم، وثبات الحلم. وإن كنت في خوف من حلول الأجل، قبل بلوغ الأمل، خصوصاً عندما أرى العمل في أرض ميتة وذابت عليها السماء مطراً، لما أنبتت زرعاً ولا أطلعت شجراً. أفزع لذكرى ذلك ويجزع، ويكاد قلبي يتقطع. ثم أرجع إلى اللَّه فأعلم أنه مع الصابرين، وأنه لا يضيع أجر العاملين، فيثلج صدري وأمضي في جهادي الدائم. ولعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمراً. . .

وليتني كنت أشكو إلى اللَّه جهل العالمين وحمق المعلمين، في مثل هذه الجاهلية التي بعث النبي ﷺ لمحو أحكامها، وإزالة أيامها. تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً، ولكن كان فهم القوم حديداً لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه، وعندما قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه. كان القرآن يصدع أفئدتهم فيلين من شدتهم ويفل من شرتهم، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة. وما كان أهل العناد فيهم إلا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه، وطائفة كانوا يفرون منه خوف أن يعرفوه. ولو سمعوا لفهموا، ثم لم يجدوا بداً من ينصروه وإن الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم، كلاهما قليل في بني آدم. أما اليوم فإنما أشكو من قلة الفهم، وضعف العقل، واختلال نظام الادراك، وفساد الشعور عند الخاصة، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة وغاية ما يطلبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يوصفوا بالعلم وإن لم يعقلوا، وأن تُقْضَى حاجاتهم إذا سألوا، وأن ترفع مكانتهم وإن نزلوا. وإن استعداد السامع للفهم يستدرك المقال، ويسدد الفكر للنضال في الجدال، أما عيشك فيمن لا يفهم فإنه ينضب منك ينبوع الكلام، ويطمس عين الفكر، ويزهق روح العقل.

٨٣ ـ الشيخ علي يوسف

١٨٦٣ ـ ١٩١٣ م

١٢٨٠ ـ ١٣٣١ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا السياسي النابه والصحفي النابغ في بلدة بلصفورة من أعمال مديرية جرجا

---

٨٣ ـ انظر ترجمته في: مرآة العصر: ص ٥٣٧، ومجلة الكتاب: ٦/٢٣٢ ـ ٢٤٩، وهدية ١/٧٧٧، وانظر الأعلام للزركلي: ٤/٢٦٢.

من أسرة زكية المغرس رقيقة الحال، ولم يكد يحول عَلَى مولده الحول حتى فجعه الموت في أبيه، فارتحلت به أمه إلى أخواله في بني عدي من أعمال منفلوط حيث درج وشب وحفظ القرآن وشدا شيئًا من مبادىء العلوم. وفي عام ١٢٩٩ هـ بعثوا به إلى الأزهر، فطلب العلم على طائفة من صفوة الأشياخ بضع سنين ألمَّ فيها بالفقه والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والتوحيد ومبادىء الفلسفة، إلا إنه أحسن في نفسه السمو والطموح، ورأى في الأزهر الجمود والخمود، فصدف عن حياة الأزهريين ووصل أسبابه ببعض أبناء السراة يساهرهم ويقول الشعر فيهم، حتى هبط مصر المرحوم أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب وأنشأ جريدة (القاهرة الحرة) فاتصل به الشيخ علي وأعانه على تحريرها فكسبه ذلك ملكة الذوق الكتابي، وأسرار الفن الصحافي، فأخرج صحيفة سماها (الآداب) ظلت تصدر حتى سنة ١٣٠٧ هـ. ويومئذ أراد الله لهذه النفس الغلابة والهمة الوثابة أن تحطم القيود وتتجاوز الحدود وتتعجل القدر، فصحت عزيمة الشيخ علي أن يصدر هو والشيخ أحمد ماضي أحد رفقائه في الأزهر جريدة يومية سياسية دعاها «المؤيد».

ظهر العدد الأول من هذه الصحيفة في ربيع الآخر سنة ١٣٠٧ هـ أو في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ولا عدة لها من مال، ولا ناصر لها من حكومة، ولا عون لها من حزب، ولا مشجع لها من جمهور فَلَقِيَ الرجل في سبيلها برْحًا شديداً وَجهداً باهراً حتى أسعفه الله حينئذ بصحبة المحامي المدره سعد افندي زغلول. والكاتب الألمعي إبراهيم أفندي اللقاني وأضرابهما، فأمدوه بالمال والكتابة؛ ولكن الخلاف دب دبيبه بين الشريكين فلم يتفقا إلا على أن يكون المؤيد خالصاً للشيخ علي إذا أدى لشريكه مائة جنيه عينًا. فكاد يصبح الأمر فوْت يده لولا أن تلك اليد البيضاء يد سعد زغلول امتدت إليه ثانية في أحلك ساعات اليأس، فألقت إليه بصرَّة فيها المال كله. وسار المؤيد بعد ذلك في طريق النجاح مسدد الخطى مؤيد العزيمة يحدوه (رياض) رئيس الحكومة بنفوذه، ويمده أعيان البيان بالمقالات الممتعة، كسعد بك زغلول. والشيخ محمد عبده، والشيخ عبد الكريم سلمان، والسيد توفيق البكري، وفتحي بك زغلول، وإبراهيم بك المويلحي؛ وقاسم بك أمين، واسماعيل باشا أباظه، ومصطفى لطفي المنفلوطي. فانتشر في العالم الإسلامي [illegible]اراً لم تعرفه صحيفة قبله. وبلغ ما يطبع منه في اليوم، وعهده عهد أُمِّيَة وجهالة، بمانية آلاف نسخة وأبلى في الدفاع عن الإسلام والذياد عن العرش بلاء أرضى عن صاحبه الخليفة والخديو والأمة، فجملوا اسمه بالألقاب، وزينوا صدره بالأوسمة، وعطروا ذكره بالثناء، ولكن تجار الفساد أرهجوا بينه وبين الأجانب فرموه بالتعصب، واستعدَوا عليه القناصل، فكان يتغلب على هذه العراقيل والأباطيل بصدق عزيمته وقوة حزمه.

ثم أصهر إلى آل السادات من الصوفية فكان لهذا الصهر قضية وشهرة، ولكنه انتهى على ما عوده الله بالفلج والظفر فاسترد الزوجة، واغتصب السجادة الوفائية.

وعُرف الشيخ علي بالولاء للقصر والإخلاص في خدمة العرش حتى حل من الخديو عباس محل الناصح الأمين. وآل أمر صحيفته إلى أن أصبحت من القصر سنانه المسلول ولسانه الناطق. وعاش هذا الرجل العصامي النابغ على كثرة حاسديه وقوة منافسيه وَلَددِ مخالفيه موفور الكرامة مرفوع المكانة جليل الخطر في نفوس الجميع حتى اختاره الله إلى جواره في يوم السبت ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩١٣ م.

أخلاقه وفضله:

كان للشيخ عليّ حظ عظيم من نبل الخلق وفي ذلك سر نجاحه. كان دمث الطبع، متواضع النفس، رحب الصدر، جم المروءة، شديد الوفاء، مرهف الذهن، سريع الفطنة، شديد الاتكاء على نفسه؛ وكان بعيد الحور، فرماه خصومه، بالمكر والدس، واسع الأناة في السياسة فرموه بالغلول والخيانة، وكان سباقًا إلى الفضل دعَّاءً إلى الخير لا ينسى الناس له أثره في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، وجعل التعليم في المدارس باللغة العربية، ولا يزالون يذكرون في ذلك قوله: «إن تعليم الأمة بلغتها ينقل العلم إليها، أما تعليمها بلغة أخرى فإنما ينقل أفراداً منها إلى العلم».

أسلوبه وعلمه:

لم يجر الشيخ في دراسته الأزهرية إلى الغاية، فلم يتعمق في علم، ولم يتبسط في أدب. ولم يبرز في فن من فنون الحياة، ولا في لغة من لغات الناس؛ ومع ذلك كان أكتب الصحفيين جميعاً!كان له أسلوب خاص لا تميزه صنعة،ولا تموهه صبغة، ولا يجمله وشي، وإنما يسحرك بلطف مدخله، وحسن ترسله، وسداد بحثه، وَوثيق حجته، وقوة أسره، وكان من الكتاب الجدليين (Polêmiste) الذين أوتوا قوة الحجاج وشدة العارضة وصدق النظر، ولكم وقف من الكُتَّابِ موقف جرير من الشعراء يجادلهم وحده حتى يقرعهم بالحق وقد عالج الشعر في صدر شبابه فلم تسترِض له قوافيه، ولم يعدُ شأو الأزهريين فيه. وقد جمع ما نظمه في ديوان سماه نسمة السحرَ نشره سنة ١٣٠٣ هـ.

نموذج من نثره:

قال من رده على خطبة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية في مصر على عهده وهي التي ألقاها عَلَى مسرح الأوبرا في حفلة وداعه:

تقفون والفلك المحرك دائر وتُقدِّرُون فتضحك الأقدار!

وقف الخطباء مساء السبت الماضي موقف الممثلين في دار التمثيل الكبرى (الأوبرا الخديوية) يحكمون على الماضي والمستقبل حكم الأقدار في الكائنات، ويبرمون

وينقضون، ويرفعون ويخفضون، والناس يسمعون مختارين أو مكرهين لأن فرسان ميدان الخطابة كانوا ثلاثة لا يزيدون ولا ينقصون، ولو أن الموقف كان حراً لكل قائل لسمعوا ما يكرهون كما قالوا ما يحبون.

قلنا إنهم وقفوا موقف الممثلين لأنهم كانوا كذلك في حقيقة الواقع. وقد مثلوا آخر فصل من رواية كثيرة الحوادث عديدة الفصول طويلة الزمان، بطل وقائعها وفارس معمعانها ذلك الذي كان آخر الخطباء في الحفلة كلامًا وأشدهم إيلامًا وأكثرهم آلامًا.

وقف ليمثل آخر سلطة له في هذه الديار ولسان حاله يقول:

«ما في وقوفك ساعة من باس»

مثّلها في مكان هو أليق ما كان عظة لقائل، ومظهراً لسلطان راحل، ومجد زائل، وأصدق ما ضرب له الأمثال: «لكل مقام مقال».

ومنها: أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظاهرة سياسية لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا، ولكنه انقلب بما جرى فيه مظهراً عدائيًا من اللورد لم ير الراءون ولم يروِ الراوون مثله في مقام وداع كهذا المقام!

دعنا من كون رئيس الاحتفال أخطأ في أنه لم يكن المتكلم الأول وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال ورئيس وزارة معاً يقدم عليه سواه في الكلام. ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيبًا من كلامه في احتفال كهذا. ودعنا من زعمه أنه يمثل مع الحكومة في موقفة السواد الأعظم من الأمة المصرية، والسواد الأعظم يخالفه في الرأي والقول. ودعنا من قول الكونت دي سريون إنه يتكلم عن فئة من الأوروبيين بما تشعر من حسنات الاحتِلال عليها، أو هو أراد إبحاح السفارة الإنكليزية بباريس في وساطة له لدى حكومة الجمهورية بعد ما حالت هذه الحكومة دون إنعام ملك أسبانيا وكل إنعام تلاه من الدول الأجنبية عليه فهو ينتظر اللجيون دي تور بصبر نافذ.

دعنا من كل هذا وانظر إلى خطبة اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته الأخيرة وخاتمة أعماله في مصر.

فينما كانت الأمة المصرية واقفة موقف الآمل منتظرة من ذلك الراحل العظيم والشيخ الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الإسلامية بما قضى عليها من الجمود الأبدي، ونحو الأمة المصرية بما وصفها به من العقم السرمدي؛ بينما هي ترجو من جنا به أن ينتهز هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح التي جرحها، ويضمد الكلوم التي فتحها في جسمها بما تقدم وبما أراد أن يجعل وطنيتها أعجوبة بين الوطنيات، وجامعتها كشكولا بين الجامعات وبينما كان

سمو أمير البلاد يتعطف ويتلطف ويبالغ في إكرام الراحل عند رحيله متناسياً الحزازات السياسية التي طالما كان اللورد مهاجماً فيها غير عادل ولا متلطف، وبينما كان كل هذا إذا ببركان «البيروقراطية» التي نشأ عليهااللورد ومارسها كل حياته حتى برز فيها أكثر من كل مبرز في تواريخ الحكومات المطلقة قد انفجر بركانه وقذف بلظاه على الأحياء والأموات.

وقف اللورد خطيبًا وهو يدافع كيد السقام، ويجاذب داعي الخصام، فجال في خاطره أنه مفارق قصراً تجري من تحته الأنهار، وملكاً خضع له فيه الليل والنهار، وتارك خصومًا قد يتوهمون أنهم نازعوه فغلبوه، أو يتوهم هو أنه حالمهم فأغضبوه.

وقف اللورد وله نفسان: نفس نزاعة إلى حب البقاء، وأخرى تقول كيف البقاء بعد الاستعفاء؟

وقد ذكر أصدقاءه القليلين كما يعلم، وأعداءه الكثيرين كما يتوهم، فسر وساء، وترخص وتشدد، وعدد وندد، ووعد وتوعد، وأرغى وأزبد، وحذر وأنذر، وحكم وقدر.

ربما أخرج الحزينَ جوى الحز ... ن إلى غير لائق بالسداد
مثلما فاتت الصلاة سليما ... نَ فأنْحى على رقاب الجياد

٨٤ ـ إبراهيم المويلحي
١٨٤٦ ـ ١٩٠٦ م
١٢٦٢ ـ ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته:

وُلد هذا الكاتب الكبير في بيت من بيوت التجارة الوطنية من أسرة ناعمة العيش واسعة الثروة موصولة الجاه بالأسرة الخديوية المالكة، فتدرب منذ إيقاعه على شؤون التجارة وتمرس في فنونها، إلا أن طبعه القلق اللجوج، ونفسه المتوثبة الطموح، لم يطاوعاه على الرضا بالربح المشروع فقذف بماله في وجوه (المضاربات) فما ارتدَّ إليه منه غير صفقة المغبون. فعاش عيشة الكفاف والتعفف حتى هبت عليه نفحة من وجود اسماعيل فجعله قاضياً في محكمة الاستئناف. ولكنه اختلف هو ورئيسه اختلافًا لم ينته إلا باستقالته. فقلده الخديوي عملاً آخر فناله فيه ما ناله في التجارة والقضاء. وجاءت وزارة شريف تريد أن تضع

---

٨٤ ـ انظر ترجمته في: تاريخ الصحافة العربية: ٢/٢٧٥، ومذكرات عناني: ص ١٩٥، وانظر الأعلام للزركلي: ١/٤٥.

الدستور الأول فكان المويلجي ممن اختيروا لوضع (اللائحة الوطنية)؛ ولكن آماله كانت تسفر له دائمًا عن وجوه الفشل فابتغى الوسيلة إلى الرزق في الكتابة والنشر فأنشأ (جمعية المعارف) لطبع الكتب القيمة وإذاعتها في مطبعة اشتراها لنفسه. ثم اتفق مع المغفور له محمد بك عثمان جلال مترجم مُولْيير وصاحب العيون اليواقظ، على إنشاء جريدة (نزهة الأفكار)؛ ولكن الخديوي إسماعيل خَشَيَ شرها فألغاها. فلما كانت سنة ١٢٩٦ هـ وخرج الخديوي مخلوعًا من ملكه إلى إيطاليا أرسل في طلب إبراهيم ليتخذه كاتب رسائله، فقام له بهذا العمل بضع سنين أنشأ في خلالها وهو في إيطاليا جريدتي «الاتحاد» «والأنباء» فلم تتمتعا بالحياة غير قليل. ثم رحل إلى الآستانة سنة ١٣٠٤ فأكرم عبد الحميد وفادته وجعله عضواً في مجلس المعارف فلبث فيه تسع سنين اتصلت فيها أسبابه برجال (المابين) ورؤساء الحكومة. ثم ارتد إلى مصر وقد خط الشيب في رأسه، ونالت الأيام من جسمه، فأنشأ (مصباح الشرق) وهي صحيفة أسبوعية كان يدبجها باللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق ويرسلها بالسهام النافذة في الاجتماع والنقد والسياسة. فقضت حاجة في نفوس الأدباء، ونهجت لهم الطريق السوي في الإنشاء، ووطأت له هو أكناف الرؤساء والكبراء واستمر عَلَى إصدارها حتى طويت صحيفة حياته.

أسلوبه:

كانت الكتابة في عهد المويلحي لا تزال ترسف في أغلال الصنعة وتكابد أعراض الوهن، فلم يستطع قلمه أن يخرج عن سلطان البديع، ولا أن يبرأ من تكلف الحلْية الظاهرة. إلا أن تصرفه في الأمور، وتقلبه في البلاد، واختلاطه بألوان الناس، واتصاله برجالات البلاد، ومغامرته في السياسة، وتمرسه في الصحافة، فتقت قريحته، وذللت معانيه، وسهلت أسلوبه وأمكنته من عنان البلاغة فصرَّفها حيث شاء ولا سيما في الرسائل، فقد تفنن في جميع ضروبها وأحسن في سائر مناحيها. والمويْلحي على ما به من ضيق المضطرب في المعاني، وضعف السليقة في الابتكار، أشبه بالبارودي في الشعر: جدد ما درس من أساليب الكتابة؛ وبيَّن ما طمس من معالم البيان، وكان ركنًا شديداً من أركان هذه النهضة المباركة.

آثاره:

جل ما أثر عنه مقالاته السياسية والاجتماعية التي نشرها فيما أنشأ من الصحف كنزهة الأفكار والاتحاد والأنباء ومصباح الشرق، أو فيما أعان عليه منها كضياء الخافقين في إنجلترا والعروة الوثقى في فرنسا. وله غير ذلك كتاب «الفرج بعد الشدة» في وزارة رياض باشا، وكتاب «ما هنالك» وصف فيه حال الآستانة ورجال المابين قبل الدستور العثماني.

٨٥ ـ حفني ناصف
١٨٥٦ ـ ١٩١٩ م
١٢٧٢ ـ ١٣٣٧ هـ

نشأته وحياته:

ولد محمد حفني ناصف بن الشيخ إسماعيل ناصف عام ١٢٧٢ للهجرة في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحج يتيماً فقيراً، فكفله خاله وجدته لأبيه. ثم دخل كتاب القرية فتعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ جزءاً من القرآن. ثم فر إلى الأزهر في الحادية عشرة من عمره فمكث فيه ثلاث عشرة سنة؛ ثم سلك نفسه في الداخلين (دار العلوم) فثقف علومها وعين أستاذاً للغة العربية في المدارس الأميرية. ثم اختير للتدريس في مدرسة الحقوق فوقع في نفسه أن يشرك طلبتها في دروسهم. فدرس القانون وترك التدريس وانتخب كاتب للنائب العمومي. ثم عين قاضيًا سنة ١٨٩٢ م في المحاكم الأهلية. وبلغ من أمره في القضاء أن صار وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية. وفي غضون ذلك انتدب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، فألقى فيه محاضرات ممتعة جمعت في كتاب خاص. ولما أقعد الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية الأكبر في وزارة المعارف خلفه الأستاذ حفني بك، فأزهرت دولة الأدب واعتز جانب اللغة. وقضى هذه الفترة القصيرة في التنقيب والتنقيح حتى شارف الستين فأحيل على المعاش وما عمر بعد ذلك إلا ثلاث سنين. ثم وافاه أجله في أواخر نوفمبر من سنة ١٩١٩ م ودفن في مقبرة الشافعي.

أخلاقه:

كان رحمه الله فكه الحديث، مليح النادرة، حاضر البديهة، سريع الجواب، كثير الدُّعابة، رضيَّ الخلق، مشاركاً في كل علم وفن، جاريًا مع القديم والحديث.

نثره وشعره:

حفني بك ناصف ركن من أركان النهضة الأدبية الحديثة. أحياها بأبحاثه ومؤلفاته، وقواها بقصائده ومقالاته. وهو ضليع في فنون اللغة، خبير بقواعد اللسان، بصير بأسرار الكلام ونقده. وأسلوبه في الرسائل يجري على منهاج المتأخرين من كتّاب العصر العباسي في الكلف بالسجع والقصد إلى البديع. وله أسلوب مرسل في المقالات يجرده من زخرف

---

٨٥ ـ انظر ترجمته في: سبل النجاح: ٢/١٩٧، وتقويم دار العلوم: ص ٢٤١، والشعر العربي المعاصر: ص ٥١ ـ ٥٥، ومجلة مجمع اللغة العربية: ٣/٣٥٨، وانظر الأعلام للزركلي: ٢/٢٦٥.

الصناعة فيسيل رقة وسلاسة. أما شعره فنمط من الأسلوب النثري المنظوم، تكثر فيه المُلح والمحسنات اللفظية ويظهر الضعف في تراكيبه أحيانًا، إلا أنه على الجملة سلس مطبوع.

مؤلفاته:

له مع غيره سلسلة في قواعد اللغة العربية كانت تدرس في المدارس المصرية وكتاب (مميزات لغة العرب) قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الذي أقيم في فينا سنة ١٨٨٦ م وقد كان كاتب سر الوفد الذي مثل مصر في هذا المؤتمر، وكتاب (حياة اللغة العربية) وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية، وكتاب القطار السريع في علم البديع، ورسالة في البحث والمناظرة، وأخرى في المنطق، وكتاب الأمثال العامية، وبديع اللغة العامية. وأكثر كتبه غير مطبوع.

نموذج من شعره:

قال يخاطب أحد الرؤساء:

أحييتَ آمالي وكنت أمتّها ... من طول ما لاقيت من إخواني
أدلي بإخلاصي لهم وأذود عن ... أعراضهم بجوارحي ولساني
محضتهم ودي فلما أيسروا ... كانت بداية أمرهم نسياني
حسبي من الدنيا صديق ثابت ... فردُ فكنه ولا احتياج لثان

وقال أيضاً:

أتُقضى معي إن حان حيني تجاربي ... وما نلتها إلا بطول عناء؟
ويحزنني ألا أرى لي حيلةً ... لإعطائها من يستحق عطائي
إذا ورَّث المُثرون أبناءهم غنىً ... وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء

ومن نثره رسالة عزى بها الشيخ علي يوسف في ولده:

خفف الله لوعتك، وأرقأ دمعتك، وجنبك الجزع، ووقاك الهلع، وألهمك الصبر، وأجزل لك الأجر، ورزقك من البنين، في مستقبل السنين، ما تَقَر به عيناك، ويقوى به عناك. وأنت والحمد لله في قوة، وبقية من الفتوة، تمكنك من الأبوة، لخير البنوة. على أن لك في عالم السياسة، وضروب الكياسة، في هذه البلاد، ألواناً من الأولاد، وآثاراً كبرى، تضمن لك الذكرى، وتجعل لك على مدى السنين، لسان صدق في الآخرين. والسلام عليك ورحمة الله.

٨٦ ــ باحثة البادية
١٨٨٣ ـ ١٩١٨ م
١٣٠٠ ـ ١٣٣٦ هـ

نشأتها وحياتها:

هي السيدة الفاضلة ملك ناصف بنت الشاعر الكاتب حفني بك ناصف.

وُلدت بالقاهرة يوم الاثنين من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٣ وتلقت مبادىء العلوم في مدارس أولية مختلفة. ثم دخلت المدرسة السنية في أكتوبر من سنة ١٨٩٣ م ونالت منها الشهادة الإبتدائية سنة ١٩٠٠ م وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات إلى نيل هذه الشهادة. ثم انتقلت إلى قسم المعلمات من هذه المدرسة فنالت منها إجازة التدريس ومارست بعد ذلك التعليم في مدارس البنات الأميرية. وفي سنة ١٩٠٧ م بنى بها عبد الستار الباسل وهو سريٌّ من سراة قبيلة الرماح بالفيوم، فتركت التدريس وعكفت عَلى الكتابة والتأليف، وعاشت مع زوجها عيشة الزوجة المخلصة البرَّة حتى توفيت بالحمى الإسبانية في أكتوبر من سنة ١٩١٨ م وهي في زهرة العمر ونضرة الشبيبة.

مكانتها في العلم والأدب:

أظهر ما تدل عليه كتابة الباحثة من أخلاقها عذوبة الروح وسراوة الخلق وذكاء الطبع وصحة الدين والرغبة في الإصلاح. تعهدها والدها الكريم منذ طفولتها فغذاها بأدبه، ونفث فيها من روحه، فأخذت تعالج القريض وهي في الحادية عشرة من عمرها. ثم توافرت على صناعة الإنشاء فبلغت منها مكانة تحسدها عليها الرجال. عنيت بإنهاض المرأة المصرية بعد قاسم أمين، فكانت أول مصرية مسلمة جاهرت بالدعوة العامة إلى هذا العمل في بيئة لا تزال رجعية. ألقت في هذا الموضوع سلسلة من المحاضرات في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ويرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد، وكتبت عنه طائفة من المقالات في هذه الصحيفة بإمضاء «باحثة البادية» فصار لقبًا غلب عليها.

جمعت هذه المقالات في كتاب عنوانه «النسائيات» ونشرت منه جزأه الأول. ثم شرعت في آخر حياتها تؤلف كتابًا مطولاً سمته «حقوق النساء» أنجزت منه ثلاث مقالات ثم حالت المنية عن إتمامه.

---

٨٦ ـ انظر ترجمتها في: مجلة المقتطف: ٤٩٧/٥٣، وبلاغة النساء: ص ٣، وانظر الأعلام للزركلي: ٢٨٨/٧.

نموذج من كلامها:

من قولها في كتاب النسائيات:

ما أنقى الهواء، وأعذب الماء، وأصفى السماء في القرى! وما أكذب الحياة وأقرب الوفاة في المدن! القرى جميلة لأنها على الفطرة. أما المدن فلا تعدم أثراً للتكلف والرياء. أين دويُّ الكهرباء، من خرير الماء، والدخان المتعاقد فوق المداخن، من جو لا ترى فيه إلا تحليق الصقور وإلا رؤس النخل الباسقات! وأين وحل الشارع وعثيرُها من أرض كسيت ببساط النبات؟ وأين الرائحة المنبعثة من مقاذير المنازل وروث الدواب من شذى أزهار الحقول؟ بل ما أضل البصر يريد الجولان فيرده من هنا جدار ومن هناك سور، من نظر تسرحه حيث شئت فلا تجد إلا اللانهاية في الفضاء!

ومن قصائدها في حال المرأة قصيدة مطلعها:

أعْمَلتُ أقلامي وحينا منطقي ... في النصح والمأمول لم يتحقق
أيسوؤكم أن تسمعوا لبناتكم ... صوتاً يهز صداه عطف المشرق؟
أيسركم أن تستمر بناتكم ... رهْن الأساور ورهن جهل مطبق؟
هل تطلبون من الفتاة سفورها؟ ... حسن، ولكن أين بينكم التقي؟
لا تتقي الفتياتُ كشف وجوهها ... لكن فساد الطبع منكم تتقي
تخشى الفتاة حبائلاً منصوبة ... غشيتموها في الكلام برونق
لا تظفروا بل أصلحوا فتياتكم ... وبناتكم وتسابقوا للأليق
ودعوا النساء وشأنهن فإنما ... يدرى الخلاص من الشقاوة من شقي
ليس السفور مع العفاف بضائر ... وبدونه فَرْط التحجب لا بقي

٨٧ ـ مصطفى لطفي المنفلوطي
١٨٧٦ ـ ١٩٢٤ م
١٢٩٢ ـ ١٣٤٢ هـ

نشأته وحياته:

ولد السيد مصطفى لطفي بمنفلوط من أعمال مديرية أسيوط سنة ١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٦ م

---

٨٧ ـ انظر ترجمته في: النظرات: ص ٩ ـ ٣١، والكنز الثمين: ص ٢٦٨، ومشاهير شعراء العصر ١/ ٣٢٠ ـ ٣٤١، والثغر الباسم في مناقب أبي القاسم: ص ٢٩، ومعجم المطبوعات: ١٨٠٥، وجامع التصانيف الحديثة: ٢/ ١٣، وانظر الأعلام للزركلي: ٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

ونشأ في بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي سنة. ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة فحفظ القرآن في المكتب. وتلقى العلم بالأزهر، ولكنه كان على الكره من ورع قلبه ورعاية أبيه لا يلقى باله كثيراً لغير علوم اللسان وفنون الأدب. فهو يحفظ الأشعار ويتصيد الشوارد ويصوغ القريض وينشىء الرسائل، وتسير له شهرة في الأزهر بذكاء القريحة وروعة الأسلوب فيقربه الأستاذ محمد عبده، ويرسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من الأدب والحياة. ثم يستفيد المنفلوطي من قربه إلى الإمام صلته بسعد باشا زغلول، ومن زلفاه لدى هذين العظيمين نفوقه لدى صاحب (المؤيد)، وهؤلاء الثلاثة كانوا أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب بعد استعداد فطرته وإرشاد والده، وفي أثناء طلبه في الأزهر نسب إليه أنه هجا الخديو عباس حلمي الثاني بقصيدة نشرها في إحدى الصحف الأسبوعية فحكم عليه من أجلها بالحبس وقضى في السجن مدة العقوبة. ولما قبض الله الإمام إلى رحمته جزع المنفلوطي فيه على رجائه وسنده، وارتد مقطوع الرجاء إلى بلده. ثم نعش الله عاثر أمله بعد فترة من الزمن، فهب يبتغي في جريدة (المؤيد) الوسيلة والنجح. ثم صارت إلى سعد باشا وزارة المعارف فعينه محرراً عربيًا لها. ولما تحاول إلى وزارة الحقانية (العدل) حوَّله معه وولاه فيها مثل هذا المنصب. ثم انتقل الحكم إلى غير حزبه فنقل من عمله حتى إذا قام البرلمان، عَيَّنَهُ سعد باشا في وظيفة كتابية بمجلس النواب ظل فيها حتى توفاه الله وهو في العقد الخامس من عمره.

أخلاقه:

كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه؛ فهو مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الأسلوب، منسجم الزي لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقرية ولا نشوز القدامة. كان صحيح الفهم في بطء، سليم الفكر في جهد، دقيق الحس في سكون، هبوب اللسان في تحفظ وهذه الخلال تظهر صاحبها للناس في مظهر الغبي الجاهل، فهو لذلك كان يتقي المجالس ويتجنب الجدل ويكره الخطابة، ثم هو إلى ذلك رقيق القلب عف الضمير سليم الصدر صحيح العقيدة نفاح اليد موزع العقل والفضل والهوى بين أسرته ووطنيته وإنسانيته.

أسلوبه وأدبه:

كان المنفلوطي أديباً موهوبًا، حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة؛ لأن الصنعة لا تخلق أديباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طريقة مستقلة. وكان النثر الفني على عهده لوناً حائلاً من أدب القاضي الفاضل، أو أثراً ماثلاً لفن ابن خلدون؛ ولكنك لا تستطيع أن تقول إن أسلوبه كان مضروباً على أحد القالبين، إنما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعاً أنشأه الطبع القوي على غير مثال.

عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأواً ما كان ينتظر ممن نشأة كنشأته في جيل كجيله. وسر النبوغ في أدب المنفلوطي أنه ظهر على فترة من الأدب اللباب، وفاجأ الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثل العيوب في أسلوب طليّ وبيان عذب وسياق مطرد ولفظ مختار. أما صفة الخلود فيه فيمنع من تحققها أمران: ضعف الأداة وضيق الثقافة. أما ضعف الأداة فلأن المنفلوطي لم يكن واسع العلم بلغته ولا قوي البصر بأدبها. لذلك تجد في تعبيره الخطأ والفضول ووضع اللفظ في غير موضعه. وأما ضيق الثقافة فلأنه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق، ولم يتصل اتصالاً مباشراً بعلوم الغرب. لذلك تلمح في تفكيره السطحية والسذاجة والإحالة. وجملة القول أن المنفلوطي في النثر كان كالبارودي في الشعر: كلاهما أحيا وجدد. ونهج وعبَّد، ونقل الأسلوب من حال إلى حال.

مؤلفاته ومترجماته:

له كتاب (النظرات) في ثلاثة أجزاء جمع فيه ما نشره في المؤيد من الفصول في النقد والاجتماع والوصف والقصص. وكتاب (العبرات) وهو مجموعة من الأقاصيص المنقولة والموضوعة. ثم (مختارات المنفلوطي) من أشعار المتقدمين ومقالاتهم. وقد ترجم له بعض أصدقائه عن الفرنسية: تحت ظلال الزيزفون (مجدولين) لألفونس كار، وبول وڤرجيني (الفضيلة) لبرنار دي سنان بيير، وسيرانو دبرجراك (الشاعر) لأدمون رستان، فصاغها بأسلوبه البليغ الرصين صياغة حرة لم يتقيد فيها بالأصل، فأضافت إلى ثراء الأدب العربي ثروة، وكانت للفن القصصي الحديث قوة وقدوة.

نموذج من نثره:

الغني الفقير

مررت ليلة أمس برجل بائس، فرأيته واضعاً يده على بطنه كأنما يشكو ألماً، فرثيت لحاله، وسألته ماله، فشكا إليَّ ألم الجوع، ففتأته عنه ببعض ما قدرت عليه، ثم تركته وذهبت إلى صديق لي من أرباب الثراء والنعمة فأدهشني أني رأيته واضعاً يده على بطنه، وأنه يشكو من الألم ما يشكو ذلك البائس الفقير، فسألته عما به، فشكا إليَّ البطنة، فقلت «يا للعجب! لو أعطي ذلك الغني ذلك الفقير ما فضل عن حاجته من الطعام ما شكا واحد منهما سقماً ولا ألماً. لقد كان جديراً به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته ويطفىء غلته؛ ولكنه كان محباً لنفسه مغالياً بها فضم إلى مائدته ما آختلسه من صحفة الفقير، فعاقبه اللّه على قسوته بالبطنة؛ حتى لا يهنىء للظالم ظلمه، ولا يطيب له عيشه، وهكذا يصدق المثل القائل: «بطنة الغني انتقام لجوع الفقير».

ما ضنت السماء بمائها، ولا شحت الأرض بنباتها، ولكن حسد القويُّ الضعيفَ عليهما فزواهما عنه واحتجهما دونه، فأصبح فقيراً معدماً شاكياً متظلماً، غرماؤه المياسير الأغنياء، لا الأرض والسماء.

ما أظلم الأقوياء من الإنسان، وما أقسى قلوبهم! ينام أحدهم ملء جفنيه على فراشه الوثير ولا يقلقه في مضجعه أنه يسمع أنين جاره، وهو يرعد برداً وقراً، ويجلس أمام مائدة حافلة بصنوف الطعام، قديده وشوائه، حلوه وحامضه، ولا ينغص عليه شهواته علمه أن بين أقربائه وذوي رحمه من تتواثب أحشاؤه شوقاً إلى فتات تلك المائدة، ويسيل لعابه تلهفاً على فضلاتها، بل إن بينهم من لا تخالط الرحمة قلبه، ولا يعقد الحياء لسانه، فيظل يسرد على مسمع الفقير أحاديث نعمته، وربما استعان به على عدِّ ما تشتمل عليه خزائنه من الذهب، وصناديقه من الجواهر، وغرفه من الأثاث والرياش، ليكسر قلبه وينغص عليه عيشه، ويبغض إليه حياته؛ وكأنه يقول في كل كلمة من كلماته وحركة من حركاته: «أنا سعيد لأني غني. وأنت شقي لأنك فقير».

لا أستطيع أن أتصور أن الإنسان إنسان حتى أراه محسناً، لأني لا أعتمد فضلاً صحيحاً بين الإنسان والحيوان إلا الإحسان. وإني أرى الناس ثلاثة: رجل يحسن إلى غيره ليتخذ إحسانه إليه سبيلاً إلى الإحسان إلى نفسه، وهو المستبد الجبار الذي لا يفهم من الإحسان إلا أنه يستعبد الإنسان. ورجل يحسن إلى نفسه، ولا يحسن إلى غيره، وهذا الشرِه الذي لو علم أن الدم السائل يستحيل إلى ذهب جامد لذبح في سبيله الناس جميعاً، ورجل لا يحسن إلى نفسه ولا إلى غيره، وهذا البخيل الأحمق الذي يجيع بطنه ليشبع صندوقه.

أما الرابع الذي يحسن إلى غيره ويحسن إلى نفسه فلا أعلم له مكاناً، ولا أجد إليه سبيلاً. وأحسب أنه هو الذي كان يفتش عنه الفيلسوف اليوناني ديوجين الكلبي حينما سئل ما يصنع بمصباحه وكان يدور به في بياض النهار فقال: «أفتش على إنسان».

٨٨ ــ عبد العزيز شاويش

١٨٧٦ ـ ١٩٢٩ م

١٢٩٢ ـ ١٣٤٧ هـ

نشأته وحياته:

ولد عبد العزيز بن خليل شاويش في الإسكندرية من أسرة مغربية الأصل تشتغل

---

٨٨ ـ انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي: ٤/١٧، وجريدة منبر الشرق: ٢/صفر/١٣٦٣.

بالتجارة. ثم تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن في أحد الكتاتيب، ثم طلب علوم الدين والعربية في جامع الشيخ بالإسكندرية فشدا شيئاً منها أهّله إلى أن يفد إلى القاهرة ويدخل الجامع الأزهر. وكان أذكياء الأزهريين يومئذ يعدون أنفسهم إلى الدخول في (دار العلوم) لأنها كانت أقصر الطرق إلى التعليم والمحاماة، وأنجح الوسائل إلى التجدد والرفاهية، فدخلها الشيخ عبد العزيز، وآشتهر بين لداته بالجد والاستقامة، والغيرة على الدين والكرامة ولما نال إجازتها تولى التدريس في مدرسة الناصرية ردحاً من الدهر، ثم اختير في بعثة إلى انجلترا ليتخصص في التربية والآداب، فتعلم اللغة الإنجليزية وآطلع منها على الآداب الأوربية فآزداد علمه وآكتمل بيانه وتنوعت ثقافته. ثم رجع إلى مصر فعين مفتشاً بوزارة المعارف. وعاد ثانية إلى إنجلترا ليعلم اللغة العربية في جامعة (أكسفورد) ثم انتهى أمره إلى أن يعود إلى مصر ويرجع إلى التفتيش وكان بينه وبين زميله المرحوم عاطف بركات منافسة في الطلب وفي الوظيفة؛ وكان بين عاطف بركات وبين وزير المعارف وهو يومئذ سعد باشا زغلول قرابة واشجة، فظن الشيخ عبد العزيز أن لهذه القرابة أثراً في تقديم منافسه عليه فآستقال من العمل في وزارة المعارف سنة ١٩٠٨ وانضوى إلى لواء الحزب الوطني. ثم أصبح بعد موت الزعيم مصطفى باشا كامل رئيساً لتحرير (اللواء). ثم جرَّت عليه صراحته في التحرير وشجاعته في الحق وحماسته في السياسة، متاعب كثيرة منها الحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر في جريمة من جرائم الرأي. فلما خلوا سبيله رحل إلى أوروبا. وشبت الحرب العالمية الأولى فشق عليه الرجوع فظل هناك يقاسي مكاره الغربة من فراق الأهل وإلحاح الفقر وخذلان الصديق، حتى وقفت رحا الحرب فعاد إلى وطنه مضعضع الآمال خائر القوى، فتجهمت له بعض الوجوه، وانقبضت عنه أكثر الأيدي، وحاول أن يعود إلى السياسة من طريق البرلمان فلم يفلح، فآنصرف إلى اكتساب الرزق من ناحية الصحافة حتى أدركته رعاية الملك فؤاد فعين مراقباً للتعليم الوظيفة الأولى في وزارة المعارف؛ فآضطلع بأعباء هذا المنصب المرهق بضع سنين. ثم أصابته علة القلب فتوفاه اللّه في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر يناير من سنة ١٩٢٩.

أخلاقه:

كان رحمه اللّه جميل السمت حسن الشارة متواضع النفس حلو الحديث لطيف الروح شديد الحياء ندي الراحة، جريئاً في الدفاع عن دينه، شجاعاً في الذياد عن وطنه، صريحاً في الإبانة عن رأيه. سباقاً إلى كريم المساعي، فشارك في كثير من الأعمال الخيرية كتأسيس جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية، وإنشاء المدرسة الإعدادية الثانوية بالقاهرة. وقد كان في طبعه حدة تظهر على قلمه أو لسانه إذا أوذي في كرامته أو وطنيته أو عقيدته.

أسلوبه:

كان أسلوبه خطابياً يؤثر بالعاطفة أكثر مما يؤثر بالمنطق. وكان يجري فيه مجرى الأسلوب المنسوب إلى الإمام علي في نهج البلاغة. وهو من الكتاب القلائل الذين اطلعوا على آداب الفرنجة وتأثروا بها. وكانوا وسطاً بين المذهبين القديم والحديث. كان من علماء العربية وفقهاء الدين وأعلام الصحافة فعالج الموضوعات الدينية والسياسية بالأسلوب الجزل والصنعة المقبولة، إلا أنه كان كأكثر معاصريه قليل العناية بآختيار اللفظة المناسبة والاقتصار على الجملة الدالة.

مؤلفاته:

من مؤلفاته التي نعرفها كتاب (غنية المؤدبين) في التربية العلمية والعملية؛ وكتاب (الإسلام دين الفطرة) في الدفاع عن الدين وبيان بعض أحكامه وكتاب (أسرار القرآن) فسر فيه بعض آي الذكر الحكيم ملائماً لروح العصر.

نموذج من نثره:

قال في فاتحة مقالاته في جريدة اللواء يوم استقال من وزارة المعارف:

«بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادُها الجبن وخور العزيمة، ومطيتها الدهان والتلبيس. في أسواقها النافقة تشتري نفسيات النفوس، بزيوف الفلوس، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤس. وبيمنك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول، حياة الجهر بالرأي، حياة الإرشاد العام، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة. أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج، بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه ما بين محسود عليه ومرجو فيه. أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر، منبرياً في ميدانها، فإما إلى الصدر، وإما إلى القبر. موقناً بما أعد اللّه لعباده العاملين المخلصين، من الظفر والفتح المبين».

ومن مقاله بعنوان «مدرسو اللغة العربية المصريون في بلاد الإنجليز»:

«نصح إليَّ المستر دنلوب أيام سافرت إلى أكسفورد، أن أقتدي بما أراه من الأخلاق الفاضلة في تلك الأمة العظيمة، فماذا جرى؟ ذهبت إلى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم فزادوني تمسكاً بديني. رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم فزادوني حرصاً على لغتي. أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شؤونهم أو التصرف في أموالهم ورقابهم فأخذت أحاكيهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه. رأيتهم يحبون الصراحة، ولا يخشون معتبة، ولا يتهيبون متعبة، ما دام الحق لهم فأخذت أحاكيهم في تلك الفضائل التي نصح بها إلى

عميدهم بنظارة المعارف العمومية! أبصرتهم يحبون العمل ويكرهون الكسل، ويحضون على الفضيلة، فعدت إلى بلادي، ثم صرت أشتغل بهمة لا تعرف الملل ولا الانقطاع، فكان حقاً على الإنجليز أن يرفعوا عقيرتهم، ويقوم خطباؤهم وشعراؤهم بالإفاضة والإسهاب في مدح من نجح في تقليدهم ومحاكاتهم في فضائلهم، ممن يرحلون إلى بلادهم من المصريين!».

الأدبـاء

٨٩ ـ ناصيف اليازجي

١٨٠٠ ـ ١٨٧١ م

١٢١٤ ـ ١٢٨٧ هـ

نشأته وحياته:

ولد ناصيف بن عبد اللّه اليازجي بكفرشيما من قرى لبنان ونشأ في بيت فضل وعلم وأدب، وبدأ بتعلم الهجاء على أحد القساوسة، ومبادىء الطب على أبيه، وصبت نفسه إلى الآداب فطفق يطلبها ويحصلها، والكتب يومئذ نادرة وتجارتها بائرة ومطلبها بعيد. فكان إذا وقع في يده مخطوط حفظه أو نسخه أو لخصه، حتى غزرت مادته، وكملت آلته، وبلغ حظه من المنثور والمنظوم، فآستكتبه الأمير بشير الشهابي وهو في أوج عزه فكتب له ولزمه اثنتي عشرة سنة حتى أخرج من بلاده سنة ١٨٤٠، فنزل الشيخ بأهله إلى بيروت وآنقطع إلى المطالعة والتأليف والتدريس ومراسلة الأدباء ومساجلة الشعراء حتى مني في أعقاب عمره بفالج نصفي عطل شطره الأيسر. ثم فجع في بكر أولاده الشيخ حبيب، فضعضعت هذه الفاجعة قواه وهدت ركنه ولم يعش بعده إلا يسيراً.

نثره وشعره:

ترسم الشيخ خطوات الحريري وآنتهج نهجه، فأولع بالبديع، وآفتن في الصناعة، وكلف بالغريب. وعالج المقامات فأنشأ منها ستين مقامة أجاد فيها التقليد وأتقن الاحتذاء وبلغ من الحلية اللفظية الغاية. وأعجب بالمتنبي في الشعر كما أعجب بالحريري في النثر،

---

(٨٩) انظر ترجمته في: أعيان البيان: ص ٦٠، وآداب اللغة: ٤/٢٥٩، ورواد النهضة الحديثة ص ٦٣ ـ ٧٧، والأعلام للزركلي: ٧/٣٥١. وانظر أيضاً معجم المطبوعات: ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩.

ولكن تقليده لأبي الطيب كان أضعف، وتخلفه عن مجاراته كان أظهر. فجاء شعره على طول معالجته له وقوة طبعه فيه أشبه بشعر الحريري وأضرابه، وبخاصة تلك القصائد التي تكلف فيها التاريخ الشعري، فقد غالى في ذلك وأسرف حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخاً! أو ينظم القصيدة فيلتزم في كل شطرة من شطراتها تاريخاً كقصيدة في تهنئة إبراهيم باشا بفتح عكاء، أو ينظم القصيدة كلها من الحروف المهملة كقوله:

حول در حل ورد هل له للحر ورِد

على أن له قصائد تهب عليك من خلال أبياتها نفحات أبي الطيب فيجزل لفظها ويقوى أسلوبها وتفيض بالمعاني المبتكرة والحكم البالغة والأمثال السائرة.

علمه ومؤلفاته:

آثار اليازجي تدل على مادة غزيرة في اللغة، وآطلاع واسع في الأدب، وإتقان عجيب لعلوم اللسان. فله كتاب مجمع البحرين وهو مجموع مقاماته الستين التي قلد بها الحريري. وله (الجمانة) (وجوف الفرا) وهما أرجوزتان أولاهما في الصرف وأخراهما في النحو، و(فصل الخطاب) وهو مختصر في النحو والصرف، (وعقد الجمان) في علم البيان، (ونقطة الدائرة) في العروض والقوافي، و(قطب الصناعة) في المنطق. ثم دواوين شعره وهي (نفحة الريحان) و(فاكهة الندماء في مراسلة الأدباء) و(ثالث القمرين). وأكثر كتبه مؤلف على نمط مدرسي ولا تزال تدرس في معظم المدارس اللبنانية المسيحية.

نموذج من كلامه:

قال من قصيدة يمدح بها أسعد باشا قائد جيش البلاد العربية:

بناء العلى بين القنا والبوارق على صهوات الخيل تحت البوارق
ولله سرّ في العباد وإنما قليل محل السر بين الخلائق
يقلب هذا الدهر أحوالنا كما تقلب فينا لاحقاً إثر سابق
ولولا اختيار الدولة ابن سريرها لما اعتمدته في المعاني الدقائق
كريم تولى الأمر يصلح أمره كفتق تولته أنامل راتق
أقام السرايا ينفر الموج خيلها بكل لواء فوق لبنان خافق
يحدث أهل الغرب في كل ليلة بما فعلت غاراته في المشارق
فيعجب من أفعاله كل عاقل ويثني على أفضاله كل ناطق
تضيق بحار الشعر عنه وتستحي يبحر لها في بحر كفيه غارق

٩٠ ـ أحمد فارس الشدياق
١٨٠٤ ـ ١٨٨٧ م
١٢١٨ ـ ١٣٠٤ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا الكاتب اللغوي في عشقوت من أعمال لبنان من أسرة مارونية. ثم دخل مدرسة عين ورقة فتلقى مبادىء القراءة، وشدا شيئاً من اللغة والنحو على أخيه أسعد. وبدأ يقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره. وصغت نفسه منذ طفولتها إلى حفظ المفردات والمترادفات فحصل منها قسطاً وفيراً ظهر أثره بعد في خطبه وكتبه. وحدث أن أخاه أسعد وهو وليه وصفيه ترك مذهب والديه وآعتقد المذهب الإنجيلي فآضطهدته عشيرته وكهنته حتى مات مقهوراً في محبسه. فشق ذلك على فارس فخرج مغاضباً إلى مصر تحت حماية المرسلين الأمريكان ورعايتهم، فقضى بها حقبة من الدهر بين تعلم وتعليم. ثم بعث به الأمريكان سنة ١٨٣٤ إلى مالطة ليصحح ما تخرجه مطبعتهم فيها. وأرسلت في طلبه وهو هناك جمعية التوراة بلندن ليحرر ترجمتها العربية فرحل إليها وأقام بلندن ما أقام ثم آنصرف عنها إلى باريس، وكان يزورها يومئذ أحمد باشا باي تونس فآتصل به الشدياق ومدحه فنفق لديه، وظاهر الأمير نعمه عليه، حتى قال الشاعر: «ما كنت أحسب أن الدهر ترك للشعر سوقاً ينفق فيها» ثم اعتنق الإسلام وهو في تونس وسمّى نفسه أحمد. وظل يكتب في الرائد التونسي ويتقلب في نعمة الباي، وفضله يظهر وذكره يذيع حتى طلبته الصدارة العظمى فرحل إلى الآستانة وأنشأ جريدة «الجوائب» وأودع فيها من فنون النثر وعيون الشعر وضروب السياسة ما رواه لسان الحمد، وتناقلته بُردُ الشرق والغرب. وكان في سياسة الشرق مرجعاً وحجة. فسعى إليه المجد والثراء، وخطب وده الأمراء والعلماء، وكافأته الدولة العلية بالألقاب والأوسمة. ثم تخلى عن إدارة الجوائب لولده سليم وهو في أعقاب عمره، فما زالت تصدر عن براعة ولباقة وقوة حتى عطلت سنة ١٨٨٤ على أثر الحوادث السودانية. ثم ورد الشدياق مصر وقد تنفس به العمر وخدد وجهه الكِبر، فأحسن المصريون وأميرهم لقاءه ووفادته، وأكرموا مثواه وإقامته، ثم ارتد إلى الآستانة فوافته بها منيته.

نثره وشعره:

كان الشدياق متضلعاً من فنون الأدب، متصرفاً في فنون الإنشاء من هزل ومجون

---

(٩٠) انظر ترجمته في: أعيان البيان: ص ١١١، وآداب شيخو: ٢/٧٩، وآداب اللغة: ٤/٢٦١، وأعلام اللبنانيين: ص ٧٥، وتاريخ الصحافة العربية: ١/٩٦، ودائرة المعارف الإسلامية: ١/٤٩٠، وانظر الأعلام للزركلي: ١/١٩٣.

ووعظ وأدب وسياسة. حافظاً لمفردات اللسان، بصيراً بمذاهب البيان، يجيد النظم والنثر. وكان أسلوبه منسجم التراكيب، متساوق المعاني، موفور الازدواج، شديد الإطناب، كثير الاستطراد، ظاهر المبالغة. أما شعره فأدنى رتبة وأقل جودة وأضعف ابتكاراً من نثره. فهو في النثر مجدد وفي النظم مقلد وفي كليهما بالنسبة إلى أهل عصره سابق مجيد.

مؤلفاته:

له غير الفصول التي نشرتها الجوائب في ثلاث وعشرين سنة كتب قيمة تدل على سعة اطلاعه وطول باعه. وأشهرها:

كتاب (سر الليال في القلب والإبدال) وهو كتاب لغوي تحليلي يشتمل على سرد الأفعال المتداولة والأسماء المستعملة واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة أو تنسيق مادة. وقد طبع بالآستانة سنة ١٢٨٤ هـ ثم كتاب (الساق على الساق فيما هو الفارياق) والفارياق كلمة نحتها من فارس الشدياق وأطلقها على نفسه. أنشأ هذا الكتاب الضخم أثناء سياحته في أوروبافوصف فيه أسفاره وأخباره وما كابده في صدر حياته، وندد برجال الكنيسة أخذاً منهم بثأر أخيه. ثم أورد الألفاظ المترادفة في كل موضع على حدة كأصناف المأكول والمشروب والمشموم والحلي والجواهر، وذلك أجل ما في الكتاب. وقد يؤخذ على المؤلف جرأته على الأدب وتطرفه في المجون واستعماله من الألفاظ ما لا يصدر عن مثله، ولا يليق بفضله.

ثم كتاب (الجاسوس على القاموس) جمع فيه المآخذ التي أخذها على قاموس الفيروزآبادي. ثم (كشف المخبا عن أوروبا) وهو وصف شامل لسياحته في البلاد الأوروبية. و(الواسطة في أحوال مالطة) وهو وصف لهذه الجزيرة: أراضيها وأهليها وحاضرها وماضيها.

نموذج من كلامه:

من الناس من يبالغ في مدح وطنه، ويحن إليه حنينه إلى سكنه، فيصف مروجه ورياضه، وبروجه وحياضه، ووهاده وجباله، وتلاعه وتلاله، وربوعه ودياره، ونباته وأشجاره، وبقوله وثماره، ودوحه وأطياره، وطيب هوائه، ولذة مائه، ويزعم أن فصوله كلها كالربيع حسناً، وأن جميع أقطاره تتدفق بركة ويمناً، وأن شهراً فيه خير من ألف عام في غيره، وأن كل بلد مستمد من خيره، ومحتاج إلى ميره ثم يزفر زفير الهائم الحيران، ويصرخ صراخ الولهان: ألا إن حب الوطن من الإيمان. لقد جبت السهول والحزون، وركبت الذلول والأمون، وطوفت في الأمصار، وجوَّلت الأقطار؛ وضربت في مناكب الأرض مستقصياً، وآختبرت أحوال من عليها مستفتياً؛ فلم أجد عيشاً هنيئاً إلا في بلادي. هي البلاد التي تغزلت بها الشعراء، فقال فيها فلان أبياتاً، وقال فيها فلان قصيدة غراء، وآسمع ما قيل

في جداولها ونواعيرها، وبلابلها وعصافيرها، وخمائلها وأزاهيرها، وصروحها وقصورها، ومصانعها ودورها، وظبائها ومراتعها، وزكائها ومواقعها، وفي أريج آفاقها، وبهيج أشفاقها، ونضرة حدائقها، وبهجة شقائقها، فإذا قلت له: كيف جارك الأدنى؟ لعله كان لك عوناً وخدناً! قال: وَيْلي إنه شرّ جار، وهو على البلاد عار وشنار. فكيف جاره الذي يليه؟ عسى أنه ممن تؤالفه وتصافيه! قال: ويلي إنه شر من أخيه. فكيف أهل الحارة طراً؟ قال: ويلي إنهم كانوا كلهم عَلَيَّ شراً، ولم أجد منهم إلا ضرّاً. فكيف أهل المدن والأمصار! قال: وَيلي إنهم أولو غبن وغش وتغرير وإخفار، ما تعامل منهم من أحد إلا ويمنيك بالكمد والنكد والخسار. هذه حالة سكان البلاد، الحاضر منهم والباد، فلا تكثرنَّ من السؤال، ولا يخطرنَّ ببالك غير هذه الحال. فإن شئت قلت له: ولكن كيف اشتملت بلادكم على تلك المحاسن، وأهلها على هذه المساوىء الشوائن؟ قال: إن أهلها الأولين كانوا من الخيرين، فحرثوها وزرعوها، وعمروها وأمرعوها، ثم فسد الزمان فجاءت خلفاتهم فاسدة، لكن بقيت تلك المحاسن فيها فائدة. ولكن ما معنى الزمان؟ وهو لم يكن صالحاً قطّ منذ خلق الإنسان، والتواريخ على ذلك شاهدة، ونصوصها عليه متساندة متعاضدة. ثم فكيف فسدت الناس وأنت بقيت من بينهم صالحاً، ترى كل من سواك صالحاً، ولو كنت من الصالحين، لما رأيت في غيرك خلقاً يشين. فإنما ينظر في عيوب الناس من كان أسوأ منهم حالاً.

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

كذلك قال الشاعر الحكيم: فما أنت في طعنك على جنسك إلا مليم. وإن أمرءاً يحسب جميع أهل بلاده دونه، لجدير بأن يشيعوا فتونه ويذيعوا جنونه.

٩١ ـ بطرس البستاني
١٨١٩ ـ ١٨٨٣ م
١٢٣٤ ـ ١٣٠٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد العالم الضليع واللغوي المحقق بطرس بن بولس البستاني الماروني بقرية من قرى لبنان تسمى الديبة على عهد الأمير بشير. ثم أدخل مدرسة عين ورقة فلبث فيها عشر سنين تعلم أثنائها العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية، وتفقه في الفلسفة واللاهوت

---

(٩١) انظر ترجمته في: الجامع المفصل في تاريخ الموارنة: ص ٥٣١، وآداب زيدان: ٢٩٧/٤، وأعيان البيان: ص ٢٠٥، وأعلام اللبنانيين: ص ١٠٥، وانظر الأعلام للزركلي: ٥٨/٢.

والفقه، وتبحر في التاريخ والجغرافية والحساب؛ ووقع في نفسه أن يخدم الكنيسة، ولكن بدا له فأحجم وآنصرف إلى التعليم. ثم وفد إلى بيروت وآتصل بدعاة المذهب الإنجيلي من الأمريكان فدرس على بعض أساتذتهم الإنجليزية والعبرية واليونانية وبعض العلوم الحديثة، ثم دخل في نحلتهم ودعا بدعوتهم وساعدهم على ترجمة التوراة. ثم أنشأ في سنة ١٨٦٣ مدرسة عالية سماها (المدرسة الوطنية) نالت بحسن إدارته وعظيم عنايته شهرة مستفيضة، فتقاطر إليها الناس من الشام ومصر والآستانة واليونان والعراق. ثم تخلى عن رياستها لابنه سليم البستاني وتفرغ هو للمطالعة والكتابة والتأليف، ففرغ في عام ١٨٦٩ من تأليف معجمه المحيط. وفي سنة ١٨٨٠ أنشأ مجلة علمية أدبية سياسية دعاها الجنان وعهد بإدارتها وكتابتها إلى ابنه سليم؛ ثم عززها بعد بصحيفة الجنة وجريدة الجنينة. وشرع بعد ذلك في وضع (دائرة المعارف) وهو عمل خطير يُعجز الفرد وينوء بالجماعة في قبيل كقبيلة وجيل كجيله. ولكن حذقه لأشهر اللغات، وآعتصامه بالصبر والثبات، ذللا له العقاب وسهلا عليه الصعاب، فأصدر منها ستة مجلدات. ونزل به موت الفجاءة وهو يعمل في السابع فقام به من بعده بنوه وفقد الشرق بموته ركناً من أركان نهضته وعلماً من أعلام هداه.

علمه وفضله:

نبغ البستاني في عصر فشت فيه الجهالة وغشى الناس الظلام فحمل المصباح وأنار الطريق، ونصب نفسه للهداية والدعاية فألف الكتب، وأصدر الصحف، وأنشأ المدارس، وملأ حياته النافعة بجليل الآثار وخطير الأعمال، وفي ذلك دليل على نفس عبقرية وعزيمة فتية وإرادة قوية. فمن تلك الآثار الخالدة: محيط المحيط وهو معجم لغوي على النمط الحديث آستوعب فيه قاموس الفيروزآبادي وصحاح الجوهري ورتبه على حروف المعجم بآعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد، وجمع فيه كثيراً من الكلمات العامية وما يقابلها من اللغة الفصيحة، وكشف عن أصول كثيرة من الكلمات الأعجمية التي لم تعرف من قبل، ووضع طائفة من المصطلحات للعلوم الحديثة. وقد آستخرج منه لطلاب المدارس مختصراً سماه قطر المحيط. ومنها دائرة المعارف، وقد أصدر منها كما علمت ستة مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن وقضى نحبه في التاسع، فأتمه بنوه الباقون بمعونة ابن عمهم سليمان البستاني مترجم الأليادة، ثم وقف عملهم عند ذلك. فلما وفد إلى القاهرة سليمان البستاني أراد أن يتم هذا العمل الجليل فأصدر هو ورجلان من بني عمومته الجزأين العاشر والحادي عشر، ثم حال نقص الأداة دون التمام.

وللبستاني غير هذين الأثرين العظيمين كشف الحجاب في علم الحساب، ومفتاح المصباح في الصرف والنحو، وعدد عديد من المقالات والرسائل.

٩٢ ــ إبراهيم اليازجي
١٨٤٧ ـ ١٩٠٦ م
١٢٦٢ ـ ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته:

وُلد العلامة اللغوي الناقد الكاتب الشيخ إبراهيم بن ناصيف اليازجي ببيروت عام ١٨٤٧ م في بيت معمور بالفضل، مشهور بالأدب، وتلقى العلم عن أبيه الشيخ ناصيف عميد الأسرة اليازجية. ثم عكف على كتب اللغة والأدب، فأتقن علوم اللسان، وعرف مطارح الإساءة والإحسان، وحفظ كثيراً من جيد المنثور والمنظوم. ثم قام بتدريس اللغة العربية في المدرسة البطريركية. حتى إذا قام الآباء اليسوعيون على ترجمة التوراة منافسة للترجمة الأمريكية التي قام بها المرسلون الأمريكيون عهدوا إليه بضبط ألفاظها وتنقيح عباراتها فقضى في هذا العمل تسع سنين كان في أثنائها يعالج النظم والنثر والبحث والنقد، وينشر ما يريد من ذلك في المجلات التي شارك في تحريرها كالمصباح والطبيب في بيروت. ثم هاجر إلى القاهرة في عام ١٨٩٤ م، وأنشأ مجلة البيان سنة ١٨٩٧ مع الدكتور بشارة زلزل. ثم استقل بمجلة أخرى دعاها (الضياء) وظل يصدرها إلى أن انتقل إلى دار القرار سنة ١٩٠٦.

أدبه وعلمه:

كان الشيخ إبراهيم عليماً بأسرار العربية، عارفاً بمفرداتها وفرائدها، حافظاً لنوادرها وشواردها، واقفاً على صحيحها وفاسدها. فكان يتعقب الكتاب والشعراء في مجلتيه البيان والضياء، يدلهم على الخطأ ويرشدهم إلى الصواب، وكثيراً ما كان يحتدم الجدل بينه في الضياء وبين الشنقيطي في مصباح الشرق، لتحرير لفظة، أو تصحيح رواية، أو تنقيح نص: وبفضل هذا التعقب شعر الأدباء بمراقبة النقد فأخذوا أنفسهم بالتدقيق والتروية والمراجعة. واستفاد المعلمون مما أحصاه من الأخطاء الشائعة في لغة الصحف والكتب، فأشاعوا تصويبها في مؤلفات الأساتذة وكراسات التلاميذ. ورأى اليازجي محصول المنشئين والصحفيين من اللغة قليلاً فآختار لهم طائفة من التعابير البليغة المأثورة في كتاب سماه (نجمة الرائد في المترادف والمتوارد) كما جمع ما أحصاه من الأغاليط المتداولة على ألسنة

---

(٩٢) انظر ترجمته في: أعلام اللبنانيين: ص ١٢١، وتاريخ الصحافة العربية: ٢/٨٨، ومعجم المطبوعات سنة ١٩٢٧، ونبذة تاريخية: ص ٥٥، والأعلام للزركلي: ١/٧٦ ـ ٧٧.

الأدباء في كتاب سماه (لغة الجرائد). والشيخ إبراهيم بعد ذلك طويل الباع في الصناعتين، له شعر جزل محكم، ونثر مطبوع رائق.

نموذج من كلامه:

كتب يعزي بعض أصدقائه:

من علم أن القضاء واقع، وأن الأعمار رهائن المصارع، فلم يصحب دهره على غرة، ولم يفتر من الأقدار بفترة؛ لم تكبر عليه الرزيئة إذا اغتالت، ولم يطمئن إلى السلامة وإن طالت، فإن للدهر رقدة وهبَّة، وإن الليالي كمنة ووثبة. ومثلك من أدرك مبادىء الأمور ومصايرها، وعرف موارد الحياة ومصادرها، وإنما الموت طور من أطوار الوجود، وآخر أعمال الحياة في الوجود. ولا أزيدك علماً بالكون وشرائعه؛ والكائن وطبائعه، إنما هي ذكرى لمن فجأه الرزء فشغله، وحل بساحته القضاء فأذهله. وحسبي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المتاح، ومن التأسية ما تعلمه من حال مخاطبك وهو سائل الجراح. وما أخلقني بأن أقول: إن رزءك هذا قد زادني شجناً على أشجاني، ونكأ ما تماثل من فرحة أحزاني. ولكني قد صيرني الدهر إلى حال، لا تعمل فيها حال، ولا أبالي معها بسلم ولا قتال. فكأنما إياي عنى أبو الطيب حيث قال:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غَشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال عَلَى النصال

٩٣ ـ حمزة فتح اللَّه
١٨٤٩ ـ ١٩١٨ م
١٢٦٥ ـ ١٣٣٦ هـ

نشأته وحياته:

ولد الأستاذ اللغوي الشيخ حمزة فتح اللَّه بالاسكندرية عام ١٨٤٩ ونشأ بها نشأة الأوساط، فحفظ القرآن ودرس العلوم الشرعية واللسانية، ثم عزم الرحلة إلى تونس فلبث فيها بضع سنين حرر في أثنائها جريدة الرائد التونسي. ثم عاد إلى الإسكندرية وآتصل بالخديو توفيق، فأوحى إليه أن يحرر جريدة الاعتدال عام الثورة العرابية ذياداً عن عرشه وتأييداً لسياسته، فما حال عليها الحول.

---

(٩٣) انظر ترجمته في: الوجيز في تاريخ الأدب العربي: ص ١٤٥، والكنز الثمين: ١/١٦٥، والأعلام للزركلي: ٢/٢٨٠.

وفي سنة ١٨٨٦ مثل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في فينا كما مثلها مرة أخرى في هذا المؤتمر نفسه حين اجتمع في استوكهولم سنة١٨٨٩ .ثم رأى أن يزاول التعليم بعد الصحافة فعيّن عام ١٨٨٨ مدرساً بمدرسة الألسن فدار العلوم. ثم انتقل إلى التفتيش فمكث به إلى أن أحيل على المعاش سنة ١٩١٢ م فعكف على البحث والقراءة حتى وافاه أجله في إبريل من سنة ١٩١٨ م وقد كف بصره.

أخلاقه وعلمه:

كان رحمه اللّه سليم الصدر، كريم الخلق، غيوراً على اللغة، ولوعاً بالأدب مُغْرى بالبحث، فسرت هذه الصفات إلى أكثر تلاميذه، فرفعوا شأن اللغة، وأحيوا موات الأدب. ألّف كتاب (المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية) أثناء تدريسه بدار العلوم. ثم كانت له اليد الطولى في تنقيح كتب الدراسة بالمعارف.

عالج النظم على طريقة المتقدمين، والنثر على طريقة المتأخرين، فكان وسطاً في الحالين، كما يتضح لك ذلك من هذين النموذجين:

نموذج من كلامه:

خير ما أثر عنه من الشعر قصيدة أنشدها في مؤتمر المستشرقين يقول في مطلعها:

حَمْد السُّرى يا أخيَّ العود والناب ... أنساك وعثاء إغباب وإخباب

ومنها في الحكم:

ومن يُرد نيل مجد وهو في دعة ... فقد بغى من صفاة دَرَّ أحلاب

والمرء في موطن كالدر في صدف ... والتبر في معدن والنبع في غاب

والسيف مثل العصا إن كان مغتمداً ... وزامر الحي لا يحظى بإطراب

وأزهد الناس في علم وصاحبه ... أدنى الأحبة من أهل وأصحاب

وكتب إلى السيد عبد الحميد البكري معتذراً:

مولاي: أما الشوق إلى رؤيتك فشديد، وسل فؤادك عن صديق حميم، وود صميم، وخُلّة لا يزيدها تعاقب المَلَوَين، وتألّق النَّيرين، إلاَّ ونوقاً في العُرا، وإحكاماً في البنا، ونماء في الغراس، وتشييداً في الدعائم. ولا يظنن سيدي أن عدم ازدياري ساحته الشريفة، وآجتلائي طلعته المنيفة، لتقاعس أو تقصير، فإن لي في ذلك معذرة آقتضت التأخير والسيد أطال اللّه بقاءه أجدر من قبل معذرة صديقه، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة. وبعد فرجائي من مقامكم السامي ألا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي فكم مِنةٍ طوقتمونيها، ولكم فيها قول البداءَة وعليَّ دوام الشكران والسلام.

الخطـابـة والخطبـاء

ظلت الخطابة في أول هـذا العصر على مـا كانت عليـه في آخر العصـر العباسي لا تتعدى الجوامع والبيَع، ولا يقوم بها إلا فئـة جاهلة نـاقلة. فلما دعـا داعي الثورة العـرابية ظهرت الخطابة السياسية على ألسنة زعمائها، وأشهرهم السيد عبد اللّه نديم والشيخ محمد عبـده وأديب إسحق واللقاني. ثم مـرَن عليها كثيـر من الوعـاظ والأدباء وأقـاموا المجـامع الأسبوعية للخطابة في الأخلاق والدين والاجتماع والسياسة. ولكن الخطابة لم تجلْ عنهـا أعقـاب العلة المزمنـة إلا في عهد الـزعيم الوطني الكبيـر مصطفى بـاشـا كـامـل المتـوفى سنة ١٩٠٨ م، فقد كانت له أمضى سلاح في جهاده. وأقوى معين في إيقاظ بـلاده. ومنذ قيامه بالدعوة الوطنية، ونهوضه بالحركة الاستقلالية، أخذ شبابنا ولا سيما المحامين يتدربون عليها حتى نبغ منهم الآن طائفة صالحة. ولعل الشرق لم يشهد في عصر من عصوره خطيباً حافل القريحة، قوي العارضة، جهوري الصوت، قبل المغفور له سعد باشـا زغلول. وإنا لنتوقع للخطابة في عهد نظامنا الدستوري رقياً سريعاً؛ فإن الحرية السياسية، والمنافسـات الحزبية، والمناقشات البرلمانية، من أبلغ العوامل أثراً في رقي الخطابة. ولـولاها مـا كان ديمُستين في اليونان، ولا شيشرون في الرومان، ولا عليٌ في العرب.

٩٤ ــ عبد اللّه نديم
١٨٤٥ ـ ١٨٩٦ م
١٢٦٠ ـ ١٣١٣ هـ

نشأته وحياته:

ولد السيد عبد اللّه بن مصباح بن إبراهيم في الاسكندريـة، ونشأ بهـا نشأة الأوسـاط فتعلم مبـادىء القراءة والكتـابة وحفظ القـرآن في الكتابـة وهويـومئذٍ في المـدرسة الأولى لأبنـاء الشعب. ولما أيفع دخل معهد الاسكندرية في جامع الشيخ فأدرك قسـطاً موفـوراً من علوم الدين واللسان. وطغى ميله الأدبي عَلَى ميوله الأخرى فحفظ الأشعار وروى الأخبار وعالج النظم والنثر. ثم داخل العلماء وطارح الأدباء حتى شغله عن العكوف على الدرس. وأعجله طلب الرزق عن متابعة الطلب في المعهـد فآنصـرف عنه إلى تعلم فن البـرق (التلغراف) فتعلمه وتكسب عن طريقه حيناً من الدهر في (تلغرافات الحكومة)؛ ثم فصل عن هذا العمل

---

(٩٤) انظر ترجمته في: أدب الشعب: ص ١١٣، وزعماء الإصلاح: ص ٢٠٢، ونزهة الألباب: ص ١٧٩، والكافي لشاروبيم: ٤/ ٢٣٩ و ٤٨٦، وانظر الأعلام للزركلي: ٤/ ١٣٨.

فتعاطى التجارة في مدينة المنصورة فلم تربح تجارته ولم يسلم رأس مَاله فعاد إلى الاسكندرية وكان أولو الفضل قد أسسوا في ذلك الحين جمعية إسلامية خيرية لإنشاء المدارس للبنين والبنات فشارك النديم في هذا العمل وتولى نظارة المدرسة الأولى لهذه الجمعية. وأمدته الحكومة بالمكان والمال عَلَى ألا تكون مقصورة على المسلمين؛ ثم جعلها الخديو توفيق تحت رعايته. وكانت هذه الجمعية من المحاريب السياسية والاجتماعية يجتمع فيها الناس ليلاً ليسمعوا الخطب في مختلف الشؤون من أمثال عبد اللَّه نديم، وأحمد سمير، وأديب إسحق، وإبراهيم اللقاني.

ثم ألف السيد عبد اللَّه رواية تمثيلية عنوانها (مصر وطالع التوفيق) مثلها طلاب هذه المدرسة، كان مغزاها الأسى على تقهقر مصر وتحكم الأجنبي بها. ثم أخذت آراء الأفغاني تهفو بالنفوس وتعصف بالرؤوس، فشُغل النديم عن الجمعية والمدرسة وأنشأ جريدة (التنكيت والتبكيت) وهي أسبوعية كانت تلبس الجد ثوب الهزل. ثم آستبدل بها (الطائف) فكانت بوقاً من أبواق الثورة العرابية، وميداناً من ميادين الحركة الوطنية وكان هو خطيب الثورة الصارم اللسان الجريء الجنان القوي الأثر. ولما خبت نارُها وقُبض مشعلوها اختفى عبد اللَّه نديم عشر سنين قضاها متنكراً في كل زي، متنقلاً في كل بلد، حتى قبض عليه فحبس أياماً وعفا عنه الخديو على أن يخرج من مصر إلى حيث شاء. فأقام في فلسطين حقبة من الزمن عاد بعدها إلى القاهرة مطلق السراح، فأنشأ بها مجلة أدبية سماها (الأستاذ) انتشرت في مختلف البيئات والجهات انتشاراً عجيباً أقض مضاجع الحكومة فنفته مرة أخرى من البلاد. فرحل إلى الآستانة ونفق عند السلطان فعين مفتشاً للمطبوعات في الباب العالي وظل في منصبه إلى أن قبضه اللَّه إليه.

أخلاقه ومواهبه:

كان السيد عبد اللَّه نديم خطيباً موهوباً ذلق اللسان، فصيح العبارة، حاضر البديهة، سريع النكتة، شديد التهكم، عاضه اللَّه من قلة العلم وضيق الاطلاع سلامة الطبع في الأدب وسماحة القريحة في الكتابة وغزارة البحر في الخطابة ثم تقلبت به الأحوال السياسية والاجتماعية فآتصلت أسبابه برجال الحكم، وطال اختلاطه بقادة الشعب، وكثر اضطرابه في مختلف الأرض. وتخلل طبقات الناس فبلا أخلاقهم وسبر أهواءهم. وكان لذلك كله أثر بالغ في علمه بمخبآت الضمائر، ومقتضيات الأحوال، وأخذه بأعنة الكلام يصرفه في أي معنى شاء، حتى قال فيه السيد جمال الدين الأفغاني: «ما رأيت طول حياتي مثل النديم في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعاً محكماً بإزاءَ معانيها إذا خطب أو كتب».

نموذج من كلامه:

قال من رسالة له عمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من القرآن:

لا حول ولا قوة إلا باللّه، اشتبه المراقب باللاه، واستبدل الحلو بالمر، وقدم الرقيق على الحر، وبيع الدر بالخزف والخز بالخشف، وأظهر كل لئيم كبره، إن في ذلك لعبرة. سمعاً سمعاً، فالوشاة إن سعوا لا يعقلوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر، و ﴿**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**﴾. عجيب لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. وأنا يا عزيز العليا، ووحيد الدنيا، قد بينت لك فعلهم، ﴿**فبما رحمة من اللّه لنت لهم**﴾ ولكنهم طمعوا في عميم طولك، ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾.

٩٥ ـ مصطفى كامل
١٨٧٤ ـ ١٩٠٨ م
١٢٩٠ ـ ١٣٢٥ هـ

نشأته وحياته:

ولد زعيم النهضة المصرية وموقظ الروح الوطنية، مصطفى كامل بالقاهرة سنة ١٨٧٤ م في بيت اشتهر بكرم الأصل وعفة النفس وصحة الدين، ثم تلقى دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس المصرية، ثم دخل مدرسة الحقوق فنال إجازتها وسنّه لم تتجاوز التاسعة عشرة. وكان في أثناء الطلب قد اشتهر بين الطلاب والكتّاب بقوته في الكتابة وقدرته على الخطابة، فنشر كثيراً من المقالات السياسية في صحيفتي الأهرام والمؤيد، وأصدر مجلة أدبية شهرية سماها (مجلة المدرسة) أشرقت فيها نفسه الكريمة إشراق النفس الزعيمة، فتهافت على ضوئه طلاب المدارس العليا يؤيدون دعوته ويرددون كلمته ويترسمون خطاه. ولما نال شهادة الحقوق لم يتجه إلى العمل في القضاء ولا في المحاماة، وإنما اتجه إلى خدمة وطنه من طريق السياسة والصحافة، فسافر إلى أوروبا مراراً يدعو إلى مصر بالكتابة في صحفها والخطابة في محافلها. وداخل رجال السياسة في فرنسا وانجلترا يستمد منهم التوجيه والعون، ومن هؤلاء أمه الروحية السيدة جولييت آدم الفرنسية التي يقول لها في بعض رسائله: «إنني لا أزال صغيراً، ولكن لي أملاً كبيراً. أريد أن أوقظ في مصر الشيخة

---

(٩٥) انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية: ١/١٦٧، وتراجم مشاهير الشرق: ١/٣١٠، ورواد النهضة الحديثة: ص ٢٠٦، ومعجم المطبوعات: ١٧٥٤، وانظر الأعلام للزركلي: ٧/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

مصر الفتاة. هم يقولون إن وطني لا وجود له، وأنا أقول إنه موجود بدليل ما أشعر له في نفسي من الحب الشديد الذي سيتغلب على كل حب سواه».

ثم أنشأ (اللواء) في ثلاث نسخ: بالعربية والإنجليزية والفرنسية، فدافع بها عن بلاده، وجاهد في سبيل حريتها حق جهاده، حتى أدرك، هو في طراءة الشباب زعامة الأمة وثقة العرش ورضا الخلافة وخصومة المحتل. وكان في مقدوره إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة في سبيل الثراء والحكم، ولكنه زهد في ذلك كله زهادة الحكيم، فعاش للمبدأ والفكرة، ومات للقدوة والعبرة. ولما بلغ هذا الجهاد المتصل وهذا الجهد المرهق من جسده الناحل ألَّف (الحزب الوطني) ليحمل عنه الأمانة ويبلغ بعده الرسالة؛ ولكن المنية لم تمهله بعد ذلك إلا أياماً فآحترمته رضي اللّه عنه وهو دون السابعة والثلاثين من عمره.

مصطفى كامل الخطيب:

كان مصطفى كامل خطيباً طلق البديهة، رائق المنطق. نديّ الصوت، عذب النبرة، أنيق اللهجة، لا يتلكأ ولا يلحن ولا يتلعثم. وكان كاتباً حلو اللفظ رقيق الأسلوب، قوي الروح، صادق الفكرة، نبيل الغرض، وبهذه المزايا الموهوبة والمكسوبة، استطاع أن يحيي الموات، ويجمع الشتات، وينعش خمود الشعب بالآمال المطمعة، ويقارع طغيان المحتل بالحجج الملزمة.

نموذج من خطبه:

قال في خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر من سنة ١٩٠١:

بلادي! بلادي! لك حبي وفؤادي، لك حياتي ووجودي، لك دمي ونفسي! لك عقلي ولساني، لك لبي وجناني، فأنت أنت الحياة، ولا حياة إلا بك يا مصر! يقول الجهلاء والفقراء في الإدراك إني متهوّر في حبها! وهل يستطيع مصري ألا يتهور في حب مصر؟ إنه مهما أحبها، فلا يبلغ الدرجة التي يدعو إليها جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها.

ألا أيها اللائمون! انظروها وتأملوها، وطوفوها، واقرأ صحف ماضيها، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض: هل خلق اللّه وطنا أعلى مقاماً، وأسمى شأناً، وأجمل طبيعة، وأجل آثاراً، وأغنى تربة، وأصفى سماء، وأعذب ماء، وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز؟

اسألوا العالم كله يجبكم بصوت واحد: إن مصر جنة الدنيا، وإن شعبها الذي يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب إذا أعزها، وأكبرها جناية عليها وعلى نفسه إذا تسامح في حقها، وسلم أزمتها للأجنبي:

إني لو لم أولد مصرياً لوددت أن أكون مصرياً!

٩٦ ــ سعد زغلول
١٨٥٧ ـ ١٩٢٧ م
١٢٧٣ ـ ١٣٤٥ هـ

نشأته وحياته:

ولد سعد زغلول في (إبيانة) من أعمال مديرية الغربية وتلقى في كتاب القرية مبادىء الثقافة العامة وأولها حفظ القرآن الكريم؛ ثم أرسله أبوه إلى الأزهر فدرس علوم الدين واللغة والمنطق ثم صارت له في الجدل والمناظرة شهرة. واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني حين هبط مصر فلزمه وأخذ عنه وتأثر به. وكان سعد بفطرته مجبولاً على مناصرة الحق ومجاهدة الباطل ومحاربة النقص. عين بعد أن ترك الأزهر محرراً في الوقائع المصرية مع أستاذه الإمام فكان يكتب في الاستبداد والشورى والأخلاق، وينتقد الأحكام التي كانت تصدرها يومئذ (المجالس الملغاة) ثم عين ناظراً لقلم قضايا الجيزة، وكان حكمه حكم القاضي الجزئي فنزل الحق من عدله وعقله في حمى أمين. ثم أصغى لقضية الحق في الثورة العرابية ففصل من وظيفته وسجن في (الضبطية) سبعة أشهر. ولما أطلق من سجنه زاول المحاماة، ولم يكن يشترط في مزاولتها حينئذ إلا أداة امتحان في المحكمة فكان أول محام أقرته المحاكم الأهلية في مصر.

ثم اختير نائب قاض في محكمة الاستئناف. ويومئذ درس الفرنسية ونال إجازة الحقوق، فبرع القضاة الأوروبيين بالذهن الغواص والدرس المحيط والاستنباط الدقيق والحكم الموفق. وفي سنة ١٩٠٦ م عين ناظراً للمعارف العمومية وكانت العلوم كلها تدرس في اللغة الإنجليزية فجعلها تدرس في اللغة العربية، وكان من ذلك أن ترجمت العلوم وألفت الكتب وانتعشت الثقافة. ثم عين ناظراً (للحقانية) فجد في إصلاح نظم القضاء وتنقيح مواد القوانين لتلائم العصر وتسد الحاجة. ثم أقيل من الوزارة فانتخبته الأمة نائباً عنها في (الجمعية التشريعية) فكان بحججه الملزمة وأجوبته المفحمة رهبة الوزراء ودهشة النواب ومتّجه الأفئدة.

ولما أعلنت الهدنة في الحرب العالمية الأولى ووضعت قضية العالم كله على مكاتب الغالبين في (ڤرساي) تحركت مصر للمطالبة بحقها في تقرير مصيرها ووكلت عنها وفداً يقدم مطالبها ويحقق رغائبها برياسة سعد باشا زغلول، فنفته السلطة العسكرية الإنجليزية في نفر

---

(٩٦) انظر ترجمته في: المجمل في التاريخ المصري: ص ٤٢١ ـ ٤٢٦، ومرآة العصر: ٢/١٠٠، والأعلام الشرقية: ١/١٣٩، وانظر الأعلام للزركلي: ٣/٨٣.

من صحبه إلى جزيرة مالطة، فثار الشعب المصري ثورته المعروفة سنة ١٩١٩. وكان من آثارها أن أطلق المعتقلون وخلى بينهم وبين مؤتمر الصلح في باريس.

وفي سنة ١٩٢٠ دعته الحكومة البريطانية إلى لندن لتفاوضه الرأي في المطالب المصرية فشخص إليها مع بعض أعضاء الوفد. ولكن المفاوضة لم تسفر عن تحقيق الأماني القومية فقطعها وعاد إلى مصر فقابلته الأمة مقابلة الفاتح الظافر. وآستأنف الجهاد على الخطة التي رسمها فأقض مضاجع الانجليز فنفوه مرة أخرى إلى جزيرة سيشل مع نفر من أصحابه فلبثوا فيها مدة، ثم نقل هو إلى جبل طارق. وأطلق سراحهم جميعاً بعد ذلك، فشخص سعد باشا إلى فرنسا من فوره فظل فيها حيناً ثم ارتد إلى مصر. وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت من جانبها تصريح ٢٨ فبراير من سنة ١٩٢٢ بتحفظاته الأربعة، فأعلن الملك فؤاد الأول استقلال البلاد وأصدر الدستور في سنة ١٩٢٣. وأسفر الانتخاب عن فوز الوفد بالكثرة فتولى سعد رياسة الوزارة في أوائل سنة ١٩٢٤ م، ثم اعتزلها من السنة نفسها وتولى رياسة مجلس النواب وظل فيها حتى اختار اللّه له ما عنده.

منزلته في الخطابة:

لم ير التاريخ المصري، بل الشرقي، قبل سعد خطيباً، بلبل اللسان، رفيع الصوت، حافل البديهة، دامغ الحجة، أنيق اللهجة، رائع البيان، حسن السمت، يزاوج بين المنطق والشعر، ويعاقب بين الإقناع والإمتاع، ويراوح بين الجد والهزل، ويتصرف في فنون القول تصرف الشاعر برقة الأسلوب، والفيلسوف بدقة الفكر، والموسيقى بجمال الإيقاع.

ذلك لأن سعداً كان رجل جلاد وجدل. تمرس منذ الحداثة بشدائد الحياة ومكاره العمل، وراض نفسه منذ الدراسة على أَدَبَي اللسان والقلم، وتنفس به العمر في ميادين الحق. فتكملت عبقريته الموهوبة بالمعرفة، وتثقفت بالتجربة، وتقوت بالمرانة، حتى كان منه ذلك الخطيب المرتجل الذي يهضب بالكلام أربع ساعات متواليات، لا يتلكأ، ولا يتلجلج، ولا يتكثر باللغو، ولا يستعين بالتكرار، ولا يطرد نشاط السامع. وكان مع ذلك يخطب كما يكتب، ويكتب كما يخطب، متوخياً في الأمرين براعة التفكير، وبلاغة الأداء، وجمال الأخيلة وابتكار التعابير، وصحة الأقيسة، وقوة الأدلة.

نموذج من شعره:

وجه رحمه اللّه هذا النداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر في صدر سنة ١٩٢١ م:

رحبت الأمة بعودة نوابها ترحيباً فاق كل ترحيب، وأعجز وصف كل كاتب وخطيب، فقد أتى أفرادها من كل ناحية بدافع من ضمائرهم النيرة، وباعث من شعورهم الحي،

ترتعش أعصابهم حماسة، وتخفق قلوبهم بالوطنية الصادقة، للالتفاف حول من اتخذوهم رمز أمانيهم، وعنوان مبادئهم. ولقد رأيت آيات الحكمة والكرامة والثبات تتجلى فيما استقبلنا من مظاهر الفرح الباهر ـ تلك الصفات التي تضمن للشعوب تقدمها وللأمم سعادتها، وشعرت من قبلات الترحيب التي غمرونا بها بحرارة قلب يخفق في جسم شعب عظيم. وقد اشترك الأموات والأحياء في أن يملوا على المجموع وكل فرد واجبه نحو الوطن العزيز، وأجمع الكل على مطالبتنا بمواصلة السير في الطريق الذي سَنَّه الحق القويم. وإن الشرف والكرامة والإخلاص لوطننا المقدس لمَّا يوجب علينا طاعة هذا الأمر الكريم، والتزام هذا الطريق المستقيم.

إننا نشكر البلاد جميعها، قريبها وبعيدها، على حلة الثقة التي زينتنا بها، ونقسم بالوطن وشعائره المقدسة ـ ويشاركنا في هذا القسم العظيم أصحابنا المخلصون في جهادهم ـ إننا لا ندخر شيئاً من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية، ولا نتحول لحظة واحدة عن الغرض الذي وضعناه نصب عيوننا حتى نصل إليه.

إننا لم نعد إلا لنقوي بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا، ونشد أزرنا بآتحادهم المتين، ونتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة، ونتأكد من أن الاشتراك في المفاوضات الرسمية التي دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادىء التي وضعتها الأمة، وعاهدناها على احترامها، ومع الخطة التي رسمتها وتعهدنا بمتابعتها. ولا شيء أحب إلى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن تسترشد بإرادة الأمة، وعاملة على تحقيق غايتها السامية.

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله، ويقبل على شأنه، فالتلميذ إلى مدرسته، والفلاح إلى مزرعته، والصانع إلى مصنعه، والتاجر إلى متجره، والكاتب إلى مكتبه، والمرأة إلى إدارتها بيتها. وعلى الكل من غني وفقير أن يباشر عمله، مراقباً أعمالنا، واضعاً نصب عينيه المقصد الأسمى، وأن يعتقد أنه يزيد بما يعمل في كنوز الوطن كنزاً، ويضم إلى قواه قوة.

إلى العمل جميعاً، لنرفع منار الوطن، ونعلي كلمته، ولتحيَى مصر!

الفصل الخامس

الشعر

لم ينل الأدب من عناية الأمراء العلويين ما نال العلم. فظل الشعر ـ على ندرته ـ كما كان في العصر الماضي أسيرَ التقليد والصنعة. ثم أدركته نفحة من الهبَّة العامة في عهد الخديو اسماعيل، فتردد ذكره على ألسنة شعرائه وندمائه، كالسيد علي أبي النصر والشيخ علي الليثي. وأخذت هذه الحركة تطرد بالإقبال على أمهات كتب الأدب الباقية، والرجوع إلى منابع الشعر الصافية. وكان البارودي أول من أقام عمود الشعر وجدد دارس القريض، فترسم خطى الفحول من شعراء العباسيين، وحاكاه الناشئون من شعراء العصر، وابتغوا الوسيلة إلى ذلك بحفظ المختار من أشعار الجاهليين والإسلاميين، فأخصبت القرائح، وأدركت السلائق، وصحت الأذواق، وجرى الشعر جزل اللفظ، محكم النسج، متين القافية، مشرق المعاني، متخففاً من أثقال البديع وأوزار الصنعة ثم نزع الشعراء إلى الاستقلال والحرية والتجديد بتأثير الحضارة الأوروبية، وتعلم اللغات الأجنبية، ونشاط الحركة العلمية. وقصدوا إلى اكتناه النفوس وتحليل الأشخاص، وتعليل الأشياء، ومناجاة الطبيعة. وحاد أكثرهم عن الأساليب العتيقة كالاستهلال بمقدمة خارجة عن الموضوع في الغزل أو غيره تحتاج إلى تخلص؛ ونظروا إلى القصيدة كلها كأنها كائن حي تتساعد أجزاؤه على غرض معين؛ ونفروا من الأغراض القديمة كالمدح والفخر والهجاء والمجون، لتغير البيئة واختلاف التربية. وجرت ألسنتهم بالمعاني العامة، كرثاء مجد مفقود، وانقاد عيب موجود، وطلب استقلال منشود. ولكن تقدم الشعر في الجملة كان أبطأ من تقدم النثر، لأن الثقافة العلمية في مصر أسبق من الثقافة الأدبية، ولأن الشعر لا يزال من ضروب الكمال التي لا تعد في وسائل الكسب ولا في صميم الحياة.

ومما يملأ النفس أسفاً ودهشة أن شعراء اليوم مُنُوا بالجمود والأذهان ثائرة، وأصيبوا بالأصغاء وأسباب القول وافرة؛ فالشعب مضطرم الشعور ثائر الفكر يجاهد في سبيل وجوده وحريته بدمه وماله، وهم قاعدون تحت الجُدُرِ يتثاءبون ويتمطَّون على دفء الشمس تاركين الجيش من غير موسيقى! اللهم إلّا صدحات من أمير الشعراء شوقي وشاعر النيل حافظ،

يرسلانها الحين بعد الحين فتجلو صدأ الخواطر، وتحيي مَوات القلوب. فلما توفى الله في سنة ١٩٢٢ حافظاً وشوقي، وكان اسماهما علمين على الشعر في العهد الأخير، تسابقت القرائح الشابة إلى ملء مكانيهما، فنشط في مصر القريض، وتجاوبت الأفراخ النواهض بالأغاريد، وشرقت الصحف والمجلات بفيض هذه القرائح، ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الأسماع ولم تطرد الوحشة. ولاحت في لبنان المهاجرة مواهب النبوغ ودلائل القيادة؛ ولكن البعد يبدد الصوت القوي، ولاغتراب يوهن الجهد الجهيد. والزمن الذي يمحص الأشياء فينفي البهرج الزائف، ويثبت الحق الصريح، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود، من عالم الفناء أو من عالم الخلود.

الشعراء

٩٧ ــ محمود سامي البارودي

١٨٣٩ ـ ١٩٠٤ م

١٢٥٤ ـ ١٣٢١ هـ

نشأته وحياته:

هو ابن حسن بك حسني مدير دنقله وبربر عَلَى عهد محمد علي باشا. وُلد بالقاهرة ورُبِّيَ في نعمة أبيه. ولم يكد يحبو للسابعة حتى فجعه الموت فيه بدنقلة فعُني بتأديبه بعض أهله. وأدخلوه المدرسة الحربية فتعلم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطاً. وكان وهو غض الحداثة مولعاً بحفظ الشعر وإنشاده. ولا نعلم مصدر هذا الميل فيه. فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شب فصيح اللسان، مطبوعاً على الإعراب دون علم بالنحو. ثم فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة وسافر إلى الآستانة فدرس اللغتين التركية والفارسية، وتضلع من آدابها حتى عدَّ من شعرائهما. واتصل هناك بالخديو إسماعيل عام ١٢٧٩ هـ، فألحقه بحاشيته وعاد به إلى مصر، فتدرَّج في الرتب الحربية حتى سما سنة ١٢٩٤ هـ إلى (لواء). ورحل في أثناء ذلك إلى فرنسا وإنجلترا، فازداد قوة في أدبه، وخبرة في فنِّه. وكان أحد ضباط الحملة المصرية التي ساعدت الدولة العلية أثناء ثورة البلقان وإقريطش، فأبلى فيها بلاء حسنًا. فلما عاد إلى مصر نقل إلى المناصب الإدارية فوُلِيَ مديراً للشرقية ثم رئيساً للضبطية. وفي عهد توفيق تقلد نظارة الأوقاف ووصل إلى رتبة (فريق) وتولى نظارة الجهادية قبيل الثورة العرابية. ورأس النظارة

---

(٩٧) انظر ترجمته في: تراجم مشاهير الشرق: ٢/٣٣٣، وشعراؤنا الضباط: ص ١٧، وأعلام الجيش والبحرية: ١/١٨١، وتاريخ دولة المماليك بمصر لوليم موير: ص ١٩٧، وانظر الأعلام للزركلي: ٧/١٧١.

بعد شريف باشا، فما لبث غير قليل حتى ثار نقع الثورة واستطار شرر الفتنة، وأكثرُ الناس على أن البارودي أول من فتح بابها وتدرَّع جلبابها، ولكن شعره يبرئه من ذلك كما سيجيء.

وسكتت الثورة باحتلال الإنجليز وادي النيل وقُبِضَ على مثيري الفتنة وَحُكِم عليهم بالنفي إلى جزيرة سرنديب (سيلان) وفيهم الشاعر. فلبث في منفاه سبعة عشر عامًا وبعض عام تعلم في أثنائها اللغة الإنجليزية، ونظم بدائع شعره في العربية. ثم وسعته رحمة الخديو عباس الثاني فعفا عنه سنة ١٣٢٧ هـ ومنحه التمتع بالحقوق المدنية فلم يعش بعدها إلا خمس سنين قضاها في سكون الشيخوخة وادعاً قانعاً بين مطالعة الكتب، ومحادثة الصحب، ومعالجة القريض. وقد كف بصره قبيل موته.

شعره:

إن كان لإمرىء القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده ولبشار في ترقيته وتجويده، فللبارودي كل الفضل في إحيائه وتجديده. وكان الشعر في عهده صورة مشوهة من آثار القرون الأخيرة المظلمة؛ نظمٌ مرتبك، وتكلف بادٍ، وصناعة فاشية، ومعنى سقيم، فجلاه في خاطره وصقله على لسانه، فجاء منضد اللفظ نقيَّ المستشف. نقص البارودي شعر ابن المعتز وأبي فراس والرضيّ والطغرائي وأمثالهم من الفحول، فارتسم شعرهم على لوح قلبه، وانتقش في صفحة ذهنه؛ وصادف ذلك منه شعوراً فياضاً وذوقاً سليمًا، فاستخرج من مجموع تلك الأساليب أسلوبه الرائق الفخم. لذلك تحس وأنت تقرأ قصيدة من نظمة أن أرواح أولئك الفحول تحوم حول روحه، وتحلق فوق أبياته.

ما كان البارودي مبتكر معان ولا مبتدع أساليب، ولكنه كان رائض فواف وصائغ قريض: قد كلِفَ بالنغمة؛ وانصرف إلى الصنعة، فآثر المعنى الضئيل في اللفظ الجزل، على المعنى في اللفظ الغث، وقد أجاد وأبدع في الفخر والحماسة والوصف.

مؤلفاته:

له كتاب (مختارات البارودي) في أربعة أجزاء وهو مجموع ما اختاره لثلاثين شاعراً من شعراء العباسي في أغراض مختلفة. وقد نهج في اختياره طريقته في نظمه، فآثر حسن اللفظ والمعنى، وحسن اللفظ، على حسن المعنى وقح المبنى، وله (ديوان شعر) في جزأين قد طبع في مصر.

نموذج من شعره:

قال في الحماسة والفخر:

ونقعٍ كلُجّ البحر خضت غِماره ولا معقلٌ إلا المناصلُ والجُردُ

صبرت له والموت يحمر تارَةً ... وينغَلُ طوراً في العَجاج فيسوَدُّ
فما كنت إلا الليث أنهضه الطَّوي ... وما كنت إلا السيف فارقه الغمِد
صؤول وللأبطال هَمْسُ من الوَني ... ضروب وقلبُ القرنِ في صدره يعدو
فما مهجة إلا ورمحي ضميرُها ... ولا لبَّة إلا وسيفي لها عقد

وقال يرثي زوجته:

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي ... تقوى على ردِّ الحبيب الغادي
يا دهرُ فيمَ فجعتني بحليلة ... كانت خلاصة عدَّتي وعتادي؟
إن كنت لم ترحم ضناي لبُعدها ... أفلا رحمت من الأسى أولادي؟
ومن البلية أن يُسامَ أخو الأسى ... رَعْيَ التجلُّد وهو غيرُ جماد
هيهات بعدك أن تقر جوانحي ... أسفاً لبُعدك أو يلين مِهادي
وَلهى عليك مُصاحب لمسيرتي ... والدمع فيك مُلازم لوسادي
فإذا انتهيت فأنتِ أول ذِكرتي ... وإذا أويتُ فأنتِ آخرُ زادي

وقال من قصيدة أخرى يتشوق:

ردوا عليّ الصِّبى من عصري الخالي ... هل يعود سوادُ اللِّمةِ البالي!
من يدْرِ من بات مسروراً بلذته ... أني بنار الأسى من هجره صالي
يا غاضبين علينا هل إلى عِدَّة ... بالوصل يوم أناغى فيه إقبالي؟
غبتم فأظلم يومي بعد فُرقتكم ... وساء صنعُ الليالي بعد إجمالى
فاليومَ لارَسني طوعُ القياد ولا ... قلبي إلى زهرة الدنيا بميال
أبيتُ منفرداً في رأس شاهقة ... مثل القَطاميِّ فوق المِرْبأ العالي

وقال يخاطب مؤججي الثورة العرابية:

نصحت قومي: قلت الحرب مفجعة ... وربما تاج أمر غير مظنون
فحالفوني وشبوها مكابرة ... وكان أولى بقومي لو أطاعون
تأتي الأمور على ما ليس في خَلَدٍ ... ويخطىء الظن في بعض الأحايين
حتى إذا لم يعد في الأمر منزعة ... وأصبح الشر أمراً غير مكنون
أجبت إذ هتفوا باسمي ومن شيمي ... صدق الولاء وتحقيق الأظانين

وقال من قصيدة بعد عودته من المنفى، ومروره بقصر الجزيرة فتذكر عهد إسماعيل:

هل بالحمى عن سرير الملك من يزعِ ... هيهات قد ذهب المتبوع والتبع
هذي الجزيرة فانظر هل ترى أحداً ... ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة ... للملك منها لو فد العز مرتبع
فلا مجيب يرد القول عن نبأ ... ولا سميع إذا ناديت يستمع

ومنها:

زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم ... ولا تعطلت الأعياد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر ... وإنما صفوه بين الورى لمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه ... ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع

٩٨ ـ إسماعيل صبري
١٨٥٤ ـ ١٩٢٣ م
١٢٧٠ ـ ١٣٤١ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا الشاعر الفنان ودَرج على ضفاف النيل، وشب في عهد إسماعيل عهد الحضارة والعمارة والأدب، فأدخل المدارس النظامية الحديثة، وتنقل في مدارجها من (المبتديان) إلى (التجهيزية) إلى (مدرسة الإدارة) حتى شارف الثامنة عشرة من عمره، وكانت بواكير النهضة الأدبية قد بدت في (روضة المدارس) وهي مجلة للطلاب ينشئها صفوة الكتاب في ذلك العهد كرفاعة بك، والشيخ حسين المرصفي أستاذ البارودي، وعبد الله فكري، وصالح مجدي؛ وكانت تصدر مرتين في الشهر حافلة بمختلف الموضوعات والمنتخبات من نثر ونظم، فكان صبري يديم النظر فيها، ويحاول الاقتباس منها والاقتداء بها، وله من ذات نفسه ملكة قوية تدفعه؟ وقريحة سخية ترفده، وذوق سليم يرشده، فنظم بعض القصائد تهنئة للخديو نشرها في هذه المجلة وعمره إذ ذاك ستة عشر عاماً. ثم رحل إلى فرنسا مع البعثة المصرية يستكمل حظه من العلوم في جامعة «إكس» فنال منها إجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ م، لابس أثناء ذلك الحضارة الأوروبية، وتذوق الآداب الفرنسية، وصادفت مواهبه الغريزية هناك رِيّاً من الجمال والعلم والفن فازدادت نمواً وخصبًا. فلما رجع إلى مصر انسلك في طريق القضاء فقطع مراحله واحدة فواحدة حتى أشرف منه على الغاية. فخرج إلى الإدارة فتولى محافظة الاسكندرية ثم نقل إلى وكالة الحقانية فشغلها حيناً من الدهر، ثم نفض يده جملة · خدمة الحكومة سنة ١٩٠٧ لبلوغه سن التقاعد. ولزم داره يدارس أصحابه الأدب ويساجلهم القريض، ويرسل عواطف قلبه وخواطر فكره أنغاماً موقعة على قيثارة شعره. وكانت داره منتدى للشعراء ومثابة للأدباء يفدون إليها للسمر فينشدونه

---

(٩٨) انظر ترجمته في: مشاهير شعراء العصر: ١/١٨٥، والمنتخب من أدب الغرب: ١/٩٢، وكتاب في الأدب الحديث: ٢/٢٥٦، وانظر أيضاً في مقدمة «ديوان صبري» لأحمد الزين: ص ٢٧ ـ ٤٣، وانظر الأعلام للزركلي: ١/٣١٥.

أشعارهم فينقدها نقد الصيرف، ويهذبها تهذيب المعلم، حتى نعتوه بالأستاذية، وأقروا له بالأولية. وظل على هذه الحال إلى أن مُني بداء القلب، فغالبه بضع سنين ثم صرعه سنة ١٩٢٣ وهو في التاسعة والستين من عمره.

شعره:

عَهدُنا بالشعراء الوجدانيين ينبغون في زهرة الشباب وربيع العمر حين تكون العواطف مشبوبة، والمشاعر مضطرمة، والآمال موفورة، والحياة منضورة؛ ولكن صبري وهو شاعر وجداني محض لم ينبغ إلا وهو آخذ بمخنَّق الأربعين. فلم تتدفق قريحته في صباه كالبارودي، وإنما حفلت على مرور الزمان وطول المرانة وإدمان النظر. لم يكن شعره في الشباب إلا تقليداً لم يُحكم، وتفكيراً لم ينضج، ومحاولة لم تتم. ولكن الله قد رزقه أذناً موسيقية وَذوقًا سليماً وطبيعة ناقدة، فصاغه من الألفاظ المتخيرة، والمعاني المبتكرة، وسار وراء البحتري ينشد الحب والموت، والجمال والصداقة، ويهزج بتلك المقطوعات الغنائية التي شفَّت عن روحة، وكشفت عن طبعه، وأحلته من أنداده محل الزعيم. كان صبري كما قال مطران أكثر ما ينظم لخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه وكان شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه، حتى إذا استقام على ما يريد ذوقه السليم من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه. وكان ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة. وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصِّد قصيدته وهو نادر.

نموذج من شعره:

قال في الغزل ويقال إنه في الآنسة (مي):

يا لواء الحسن، أحزاب الهوى ... أيقظوا الفتنة في ظل اللواء
فرقتهم في الهوى ثاراتهم ... فاجمعي الأمر وصوني الأبرياء
إن هذا الحسن كالماء الذي ... فيه للأنفس ري وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده ... دون بعض، واعدلي بين الظماء
أنت يمَ الحسن فيه ازدحمت ... سفن الآمال يزجيها الرجاء
يقذف الشوق بها في مائج ... بين لجين: عناء وشقاء
شدة تمضي وتأتي شدة ... تقتفيها شدة، هل من رجاء
ساعفي آمال أنضاء الهوى ... بقبول من سجاياك رخاء
وتجلي واجعلي قوم الهوى ... تحت عرش الشمس بالحكم سواء
أقبلي نستقبل الدنيا وما ... ضمنته من معدات الهناء
واسفري، تلك حُلى ما خلقت ... لتواري بلثام أو خباء

واخطري بين الندامى يحلفوا ... أن روضاً راح في النادي وجاء
وانطقي، ينثر إذا حدثتِنا ... نائر الدر علينا ما نشاء
وابسمي، من كان هذا ثغره ... يملأ الدنيا ابتساماً وازدهاء
لا تخافي شططاً من أنفس ... تعثر الصبوة فيها بالحياءَ
راضَت النخوة من أخلاقنا ... وارتضى آدابنا صدق الولاء
فلو امتدت أمانينا إلى ... ملك ما كدرت ذاك الصفاء
أنت روحانية، لا تدعي ... أن هذا الشكل من طين وماء
وانزعي عن جسمك الثوب بين ... للملا تكوين سكان السماء
وأرى الدنيا جناحيْ ملك ... خلف تمثال مصوغ من ضياء

وقال في ساعة الوداع:

أترى أنت خاذلي ساعة التو ... ديع يا قلب في غد أم نصيري
ويك! قل لي متى أراك بجنبي ... راضياً عن مكانك المهجور
ساعة البين قطعة أنت قدَّت ... للمحبين من عذاب السعير
لا تحيني، روحي الفداء لما حيـ ... ـك غداً من صحيفة المقدور

وقال:

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعة في رد ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمناً ... حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

وقال:

تمسي تذكرنا الشباب وعهده ... هيفاء مرهفة القوام فتذكر
تثب القلوب إلى الرءوس إذا بدت ... وتطل من حدق العيون وتنظر

وقال في الصداقة:

إذا خانني خِل قديم وعقني ... وفوقتُ يوماً في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه ... فكسر سهمي فانثنيت ولم أرم

وقال:

يا موت خذ ما أبقيت الـ ... أيام والساعات مني
بيني وبينك خطوة ... إن تخطها فرَّجت عني

وقال يناجي الله:

يا رب أين تُرى تقام جهنم ... للظالمين غداً وللأشرار
لم يُبق عفوك في السموات العلى ... والأرض شبراً خالياً للنار

يـا رب أهـلني لـفضـلك واكـفـني ... شـطط الـعـقـول وفـتـنـة الأفـكـار
ومُـر الـوجـود يشف عـنـك لكي أرى ... غـضـب الـلطيف ورحـمـة الـجـبـار
يـا عـالـم الأسـرار حسبي مـحـنـة ... عـلمـي بـأنـك عـالـم الأسـرار
أخـلق بـرحمـتـك التي تسـع الـورى ... ألا تـضـيـق بـأعـظم الأوزار

٩٩ ـ أحمد شوقي
١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ م
١٢٨٤ ـ ١٣٥٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد أحمد شوقي بن أحمد شوقي بالقاهرة ونشأ بها. أما أصله فقد سمع أباه يرده إلى الأكراد فالعرب ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا فأدخله في معيَّته، وظل يتقلب في المناصب السامية حتى أقامه سعيد باشا أمينًا للجمارك المصرية».

ولقد كان أبوه متلافاً فأهلك ما ورث عن أبيه فكفلته في المهد جدته لأمه وكانت إحدى وصائف القصر في عهد إسماعيل ولما بلغ الرابعة من عمره، أدخل في مكتب الشيخ صالح في حي الحنفي، ثم تلقى بعد ذلك دروسه الابتدائية والثانوية وتقدم إلى مدرسة الحقوق في سن باكرة فقضى بها عامين. ثم عدل إلى قسم الترجمة الذي أنشىء فيها فقضى به عامين آخرين نال بعدهما شهادتها النهائية. ثم ضمه الخديو توفيق إلى معيته وأشخصه إلى فرنسا على نفقته ليدرس الحقوق والآداب فدرس عامين في (مونپيليه) وعامين في باريس. ثم عاد إلى منصبه في المعية الخديوية. وظل يتدرج في المناصب حتى تولى رياسة القلم الأفرنجي في عهد الخديو عباس الثاني. ونفق لدى هذا الأمير حتى كانت شفاعته عند ذوي الحكم لا ترد وإشارته لا تخالف. ولما شبت الحرب العالمية الأولى خلعت انجلترا بقوة الاحتلال الخديو عن عرش مصر. ورأى أولو الأمر يومئذ أن يغادر شوقي البلاد، فاختار برشلونه من أعمال أسبانيا مقراً له ولأسرته ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن عاد السلام إلى العالم. ولكن صلته الوثيقة بالنظام القديم، ومدائحه المروية في الخديو المنفي ما زلت توهي بينه وبين القصر أسباب الثقة والتقريب. فانصرف الشاعر بإلهامه وأنغامه إلى الشعب، يذود عن

---

(٩٩) انظر ترجمته في: مرآة العصر: ١١٣/٣، وصفوة العصر: ص ٦٣٦، والمنهج الجديد: ص ٣٧، ومشاهير الكرد: ٨٤/١، ومعجم المطبوعات: ١١٥٨، والمنتخب من أدب العرب: ١٠٨/١، ومناهل الأدب العربي: ٣٧/٦، وأعلام الشرق والغرب: ص ٩٥ ـ ١٠٧، وانظر الأعلام للزركلي: ١٣٧/١.

حوضه، ويهتف بمجده، ويعرب عن شعوره، وينقل عن طبعه، ويتغنى بجهاده، حتى حمدت له مصر والعرب هذه اليد، فأقاموا له في دار الأوبرا الملكية مهرجانا عاماً لتكريمه اشترك فيه رجالات مصر وأقطاب الدول العربية برعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول. ولم يزل شوقي مهبط الوحي والإلهام، وموضوع الإكبار والإكرام، حتى انتقل إلى جوار الله في سنة ١٩٣٢، فأقامت له وزارة المعارف وطائفة من أعيان الفضل والأدب، حفلة تأبين بدار الأوبرا الملكية دعت إليها أقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية ورعاها الملك بنائب عنه.

شوقي الشاعر:

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب.

كان شوقي ينقل شعره عن طبع دقيق، وحس صادق، وذوق سليم، وروح قوي، فيأتي به مطرد السلك محكم السبك لا يشوبه ضعف ولا لغو ولا تجوز ولا قلق. وهو كالمتنبي في أنه تصرف بين الناس فلابس أولياءهم، وخالط دهماءهم، حتى عرف كيف يصف طبائعهم، ويصور منازعهم. وهو مثله في إرسال البيت النادر، والمثل السائر، والحكمة العالية، مستخْلصاً ذلك مما يسوق من المعاني المدح أو الوصف أو الرثاء، دون أن يتوخاه أو يقصد إليه ـ وهو كذلك مثله في أن بيته يفيض بالمعنى البعيد المبتكر فيضاناً يغرق فيه الذهن أحياناً، فلا يصل إلى قاع، ولا يرسى إلى ساحل. أما معانيه فكثيرها مخلوق وقليلها مطروق. وأما ألفاظه فأنماط من القول تختلف مادة وصنعًا باختلاف المواقف، وأكثرها عليه رونق طبعه، وسمة ظرفه، وعذوبة روحه. وقد يعفى طبعه أحياناً فيرسل شعره كما يجيء فيأتي بمالا يتفق مع فضله.

وشوقي محافظ في دينه ولغته وفنه، يكثر الترديد لأسماء الأنبياء والخلفاء والكتب المنزلة، والأماكن المقدسة، ويؤثر النسج عَلَى منوال الفحول من شعراء بني العباس، والنظم في البحور الطويلة. وقلما ينظم في الأوزان المستحدثة أو ينوع القافية في القصيدة. على أن هذه المحافظة لم تمنعه من تكميل نقص الشعر العربي، فقد ظل شعرنا إلى عهده غنائيًا(lyrique) يستمده الشاعر من طبعه، وينقله عن قلبه، حتى جاء هو فنظم ما يشبه الشعر القصصي(Eptique) في طول النفس ووطنية الموضوع وعمومية الحادث، كأرجوزته (دول العرب) وقصيدته في (وادي النيل).

ثم عالج الشعر التمثيلي، فنظم رواياته المعروفة: مصرع كليوبترا، ومجنون ليلى،

وقمبيز، وعلي الكبير، وعنترة، والست هدى، فكان بهذا التجديد الشاعر العربي الكامل. وقد جمع شعره في ديوان يقع في أربعة أجزاء. وله غيره في الشعر كتاب (عظماء الإسلام) وجملة من القصائد للأطفال والأغاني.

ولشوقي نثر مسجوع لا يختلف عن الشعر إلا في الوزن، جمع طائفة كبيرة منه في كتاب سماه (أسواق الذهب). وله من النثر المرسل قصص منها. لا ياس، وورقة الآس، ومذكرات بتثاءور، وأميرة الأندلس:

نموذج من شعره:

قال من قصيدة يصف فيها دمشق:

آمنت بالله واستثنيت جنته ... دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها ... الأرض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى) ... كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة ... والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) أو حول (هامتها) ... حور كواشف عن ساق وولدان
و (ربوة) الواد في جلباب راقصة ... الساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها ... وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً ... أفوافه فهو أصباغ وألوان
وقد صغى (بردى) للريح فابتردت ... لدى ستور حواشيهن أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا ... جفت من الماء أذيال وأردان

وقال يصف رحلته إلى الأندلس من قصيدة طويلة:

اختلاف النهار والليل ينسى ... اذكرا لي الصبا وأيام أُنْسِي
وصفا لي ملاوة من شباب ... صورت من تصورات ومس
عصفت كالصبا اللعوب ومرت ... سِنة حلوة ولذة خلس
وسلا مصر: هل سلا القلب عنها ... أو أسا جرحه الزمان المؤسي
كلما مرت الليالي عليه ... رق والعهد في الليالي تقسي
مستطار إذا البواخر رنّت ... أول الليل أو عوت بعد جرس
أحرام على بلابله الدو ... ح حلال للطير من كل جنس

ومنها:

كل دار أحق بالأهل إلا ... في خبيث من المذاهب رجس

ومنها:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني ... شخصه ساعةً ولم يخلُ حسي

١٠٠ ــ محمد حافظ إبراهيم
١٨٧٠ ـ ١٩٣٢ م
١٢٨٦ ـ ١٣٥٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد محمد حافظ إبراهيم في ديروط من أعمال مديرية أسيوط حوالي سنة ١٨٧٠ إذ كان أبوه إبراهيم فهمي من المهندسين المشرفين على بناء قناطرها. ولما كان عمره سنتين توفي أبوه فقيراً في ديروط فانتقلت به أمه إلى القاهرة فكفله خاله وأدخله (المدرسة الخيرية) فمدرسة المبتديان فالمدرسة الخديوية. ثم انتقل خاله إلى طنطا فنقله معه؛ فقضى فيها بضع سنين متبطلاً يزجي فراغه بالقراءة، ويدفع ملاله بالقريض.

ولم يستطع خاله لسببٍ ما أن يجلو عنه غمة اليأس وذلة اليتم، فكان لا يفتأ متبرماً بالعيش، متأففاً بالناس، مُتَجنياً علي القدر، لا ينشيء الشعر إلا في ذاك. ثم دفعته الحاجة إلى مكاتب المحامين فتبلغ بالعمل فيها حيناً، حتى أسعفته الفرص فدخل المدرسة الحربية، وخرج منها ضابطاً بالجيش. ثم نقل إلى الشرطة، ثم أعيد إلى الجيش، وأشخص إلى السودان في الحملة المصرية بقيادة كتشنر فبقي هناك زمناً كان لا ينفك فيه متبرماً متمرداً، يلح في العودة إلى مصر. فلما أخفق مسعاه ثار مع فئة من الضباط سنة ١٨٩٩، فحوكم وأحيل إلى الاستيداع، ومنه إلى المعاش.

عاد حافظ كما كان يضطرب في الحياة المبهمة، لا يستريض لعمل، ولا يستقر على أمر، ولا يتشوف إلى غاية، وإنما يضطرب نهاره من قهوة إلى قهوة، ويتقلب ليله من مجلس إلى مجلس، ويفيء إلى ظل الإمام محمد عبده فينتفع بجاهه ويعيش على رفده، ويغشى مع ذلك أبهاء النعمة، يسامر أهلها بعذب حديثه، وينادمهم برقيق شعره. وفي سنة ١٩١١ عينه أحمد حشمت باشا وزير المعارف يومئذ للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، ثم وكيلاً

---

(١٠٠) انظر ترجمته في: مشاهير شعراء العصر: القسم الأول، شعراء مصر: ١٨١ ـ ٢٠٦، وصفوة العصر: ص ٦٤٣، والمنتخب من أدب العرب: ١/١٠٠، وآداب العصر: ص ٢٣٢، وشعراؤنا الضباط: ص ٥٣ ـ ٩٥، وأعلام من الشرق والغرب: ص ١٠٨ ـ ١١٢، ومعجم المطبوعات: ٧٣٦، وانظر الأعلام للزركلي: ٦/٧٦.

للدار، وظل في هذا المنصب حتى خرج إلى التقاعد في صدر سنة ١٩٣٢ وتوفي صيف السنة نفسها.

حافظ الأديب:

عاش حافظ بحكم طفولته الشاردة المهملة عيش الكسل والتبطل، لا يميل إلى علم، ولا ينشط إلى عمل كدأب الناس قديماً من أضراب مسلم بن الوليد، وأبي نواس، ممن عاشوا صنائع للملوك، وحمائل عَلَى الجوائز، ووسائل اللهو، كان مبدأه الأدبي مبدأ اليوم، كما كانت حياته المادية حياة الساعة. رأى الآمال تتهافت حيناً من الدهر على أريكة الخديوية في مصر وعرش الخلافة في الآستانة، فجرى لسانه بالشعر المطبوع، في مدح عباس وتمجيد عبد الحميد. ثم اتصل بالإمام محمد عبده وشيعته من سراة البلاد وشيوخ الأمة، ولهم يومئذ في الإنجليز رجاء موصول وظن حسن، فصدرت عنه في هذه الفترة قصائد في رثاء الملكة فكتوريا، وتتويج الملك إدوارد السابع، ووداع اللورد كرومر، عبر بها عن الرأي الأرستقراطي في ذلك الحين. ثم خلص للشعب. فلابس دهماءه، وخالط زعماءه، واندفع بقوة الوطنية الدافقة الشابة إلى لواء مصطفى كامل فمزج شكواه بشكوى البلاد، وضرب على أوتار القلوب أناشيد الجهاد، ونظم أماني الشباب من حبات قلبه، وترجم أحاديث النفوس ببيان شعره.

عكف منذ شب على دواوين الشعر، وأجزاء (الأغاني) ينتحلها ويتمثلها ويعاود النظر فيها. حتى بلغ من مختار الرواية ومصطفى الكلام ما لا غاية بعده. ثم قنع من فروع الثقافة الأخرى ينتف من المسائل الأولية ينقلها عن السماع ويأخذها من الصحف إذا ظن أنها تدخل بوجه من الوجوه فيما يمنيه من ابتكار الأسمار وصوغ القريض.

حافظ الشاعر:

صياغة حافظ هي موهبته الأولى ومزيته الظاهرة. وهو في ذلك ثاني الخمسة الذين تيقظت على دعوتهم نهضة الشعر، وتجددت عَلَى صنعتهم بلاغة القصيد. ولعله انفرد عن هؤلاء جميعاً بالصدق في تعبيره عن هموم قلبه، وتفسيره لأماني شعبه، وتصويره لمساوىء عصره. أما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضي في فرديأته. وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته. كان إذا تهيأ للشعر عمد إلى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس، وتستفيض في المجامع، وتتردد في الصحف، فيجمعها في باله، ويديرها في خاطره، ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ، ويسبكها فيجيد السبك، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فإذا نسق مطرد وأسلوب سائغ، وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه.

نموذج من شعره:

قال عَلى لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها.

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب اللّه لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً ... وكم عزّ أقوام بعزّ لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

ومن خمرياته:

أوشك الديك أن يصيح ونفسي ... بين هم وبين ظن وحدس
يا غلام! المدام والكاس والطا ... س وهيء لنا مكاناً كأمس
أطلق الشمس من غياهب هذا الـ ... ـدن وآملأ من ذلك النور كأسي
وأذن الصبح أن يلوح لعيني ... من سناها، فذاك وقت التحسي
وادع ندمان خلوتي وائتناسي ... وتعجل وآسبل ستور الدمقس
وآسقنا يا غلام حتى ترانا ... لا نطيق الكلام إلا بهمس
خمرة قيل إنهم عصروها ... من خدود الملاح في يوم عرس

وقال من قصيدة (غادة اليابان):

لا تلم كفي إذا السيف نبا ... صح مني العزم والدهر أبى
رب ساعٍ مبصر في سعيه ... أخطأ التوفيق فيما طلبا
مرحباً بالخطب يبلوني إذا ... كانت العلياء فيه السببا
عقني الدهر ولولا أنني ... أوثر الحسنى عققت الأدبا
إيه يا دنيا اعبسي أو فآبسمي ... لا أرمي برقك إلا خلبا
أنا لولا أن لي من أمتي ... خاذلاً ما بتّ أشكو النوبا
أمة قد فت في ساعدها ... بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا ... وتفدي بالنفوس الرّتبا
وهي والأحداث تستهدفها ... تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالي لعب القوم بها ... أم بها صرف الليالي لعبا

١٠١ ـ جميل صدقي الزهاوي
١٨٦٣ ـ ١٩٣٦ م
١٢٧٩ ـ ١٣٥٤ هـ

نشأته وحياته:

ولد جميل صدقي الزهاوي في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨٦٣ م ببغداد لأبويين كرديين كريمين، ثم نشأ في أسرة تميزت بالدين والفقه والأدب. فقد كان أبوه محمد فيضي الزهاوي مفتياً لدار السلام وأخوه فقيهاً من فقهائها. وكان أخوه ـ كما حدثني جميل ـ لا يتذوق الأدب، فكان يذوده عن رواية الشعر، ويصده عن دراسة اللغة، ويأبى عناده هو، وتسامح أبيه، إلا أن يديم النظر في الأدب ويروض القريحة على القريض. كان هم أخيه وأمل أبيه أن يستقيم على عمود أسرته فيكون صاحب قضاء وفقه، ولكنه استقام على محتوم طريقته فكان صاحب شعر وفلسفة. وكان العراق أيام الزهاوي تركي السلطان سُني الحكومة، فالتعليم المدني فيه كان تابعاً في لغته وطريقته وغايته لسياسة الأجنبي وهواه؛ فلم يخرج إلا رجال جيش أو رجال إدارة. أما التعليم الديني فظل في صحون الجوامع، عربي اللسان، حر النزعة، طليق الفكرة، فتثقف الزهاوي بهذه الثقافة. تنفست على أعصابه الشاعرة أمواج العروبة ترسلها على بغداد البوادي الملهمة. ثم نزعه عرق العم والخال من الكردية فجاهد وجالد وغامر. ثم ابْتُلِيَ وهو في الخامسة والعشرين من عمره بداء في النخاع الشوكي لازمه بقية حياته. ورُمِيَ بعد ذلك بالشلل في رجله فبرم وآكتأب وتشاءم! ثم مني في عصره بفساد السلطان وآستطالة الجهل، وآنحلال الخلق، فدفعته هذه العوامل كلها إلى مواقف المصلحين من الإنذار والنصيحة.

لم يخلد الزهاوي إلى التبطل كأكثر أهل الشعر، وإنما غامر في خطير الأمور، فعين في بغداد عضواً في مجلس المعارف، ثم مديراً لمطبعة الحكومة، ثم محرراً بالجريدة الرسمية، ثم انتخب عضواً في محكمة الاستئناف. ودعاه الخليفة حين نبه ذكره إلى الآستانة فحرك فيها لسان النقد وأفض بها مضاجع التجسس، فآنتفض أمره وساء مقامه. ولما أعلن الدستور العثماني عين رئيساً لقسم الفلسفة الإسلامية في (المكتب المكي) ثم مدرساً للآداب العربية في (دار الفنون) ثم عاد إلى بغداد فعين أستاذاً للشريعة في مدرسة الحقوق. ثم انتخب نائباً عن العراق في (مجلس المبعوثان) وهو في خلال ذلك كله لا يفتر ليلة عن

---

(١٠١) انظر ترجمته في: الأدب العصري: ١/٥، ومشاهير الكرد: ١/١٦٣، وملوك العرب للريحاني: ٢/٣٨١ ـ ٣٨٧، وانظر الأعلام للزركلي: ٢/١٣٨.

الشعر والقراءة، ولا يكل نهاره عن الحديث والكتابة. حتى غُلب الترك في الحرب العالمية الأولى وقام عرش فيصل في العراق فكان الشأن لأصحاب الجيش وأقطاب السياسة أما الزهاوي وأمثاله من رجال الفكر والشعر فآتخذوا طريقهم على الهامش. اللهم إلا زمناً يسيراً عيَّنه فيه الملك فيصل الأول عضواً بمجلس الأعيان العراقي، ثم تخلى عنه لجرأة شعره وصراحة رأيه، فكان لا ينفك شاكياً ذلك الحرمان متحاملاً على نفسه مع انسراق القوى واستحكام العلل، حتى توفاه اللَّهُ ببغداد في أواخر فبراير من عام ١٩٣٦.

الزهاوي العالم:

كان الزهاوي في صدر شبابه ينظر في العلوم الطبيعية والفلسفية، ووسيلته إلى ذلك ما تُرجم من المقالات في الكتب والمجلات، لأنه لم يعرف من اللغات إلا العربية والفارسية والتركية والكردية، وكلها لا تصل فكر الإنسان بالثقافة الحديثة. ومع ذلك استبطن دخائل هذه العلوم بعقله النافذ حتى ألف كتاب (الكائنات) في الفلسفة، وكتاب (الجاذبية وتعليلها) في الطبيعة ذهب فيهما مذهباً خاصاً خالف به أقطاب العلم وجهابذة النظر كقوله: إن علة الجاذبية ليست جذب المادة للمادة، وإنما هي دفعها إياها بسبب ما تشعه من الالكترونات وسواء أنهض دليله أم دحض فإنه يدل على النظر الثاقب والفكر المستقل.

الزهاوي الشاعر:

الزهاوي شاعر من شعراء الفكرة، له البصيرة الناقدة، والفطنة النافذة، وليس له الأذن التي تموسق، ولا القريحة التي تصنع. فاللفظ قد لا يختار، والوزن قد لا يتسق، والأسلوب قد لا ينسجم، ولكن الفكرة الحية الجريئة تعج بين الأبيات المتخاذلة عجيج الأمواج المزيدة بين الشواطىء المنهارة. وكان الزهاوي كشوقي حريصاً على متابعة العصر ومسايرة التطور. ومنشأ هذا الحرص فيهما طبع مرن يطلب التجدد، وحس مرهف بأنف التخلف. ويزيد الزهاوي أن الفخر يزهاه والتيه يذهب به فيحب الثناء ويبغض النقد، فهو لفرقه من صفة القدم يسبق الشباب إلى التجديد، ولنفوره من معرة الجمود يذهب بالرأي إلى التطرف، ولطمعه في نباهة الذكر يجاري ميول الخاصة ويعارض هوى العامة. ومن ثم كان أكثر شعره تشنيعاً على الاستبداد بمهاجمة أهل الحكم، وزراية على الجمود بمحاربة أهل الدين، وتحقيراً للتأخر بمصادمة مألوف الأمة.

نموذج من شعره:

قال من قصيدة بعنوان الجهل والعلم:

يريد أناس فرقة الشعب جهدهم ... فلا عطست باليمن تلك المعاطس

ونحن الألى ما فرق الدين بيننا ... وإن كثرت بعض الأوان الدسائس

فعشنا وعاشت من عصور كثيرة ... جوامعنا في جنبهن الكنائس
ولا يعدم الإنسان طول حياته ... صديقاً يواسي أو عدواً يعاكس
ولكننا عشنا جميعين أعصراً ... كلانا أخو صدق كِلانا مؤانس
وإنا سنحيا والعمائم عندنا ... لها حرمة محمودة والقلانس
سنحيا نعم في وحدة عربية ... لها العلم نظام لها العدَل سائس
وتغرس في قلب الشبيبة جرأة ... على الصدق حباً أن تطيب الغرائس
ساعدنا فيما نحاول دولة ... معظمة ترعى علاها أشاوس
قول لشعري أيها الشعر صل وجل ... فأنت بميدان الفصاحة فارس
أغاظك أن الجهل في الناس جاهر ... يقول وأن العلم في الأذن هامس
يمارس شعري اليوم إصلاح أمة ... فللّه شعري اليوم ماذا يمارس
ستحميك يا شعري فأنذر حكومة ... تجل ربوع العلم وهي المدارس
حكومة عدل مهد الأرض حكمها ... فلا البر موتور ولا البحر خانس
وليس لها في المغربين معارض ... وليس لها في المشرقين مشاكس

ومن خطراته:

إن الصراحة تغني ... ما ليس تغني الرموز
أخو الحجا قبل أن يجـ ... ـمل الادا يروز
وعند من هو غر ... يجوز ما لا يجوز
كم جامع لكنوز ... يفنى وتبقى الكنوز
وقد تموت فتاة ... ولا تموت عجوز
لا تجبنن فليس الـ ... ـجبان شيئاً يجوز
إنا نعيش بعصر ... فيه الجسور يفوز

* * *

لقد مشيت بليل ... داج بغير دليلِ
فما بعدت كثيراً ... حتى ضللت سبيلي
من لي بماء براد ... به أبل غليلي
طلبت شيئاً قليلاً ... فلم أفز بالقليل
وكم صحبت خليلاً ... فكان غير خليل
كل الأحبة أعدا ... ئي عند خطب جليل
لا خير لي من بلادي ... وأسرتي وقبيلي

خـــاتمـــة

في الاستشراق والمستشرقين

يراد بالاستشـراق اليوم دراسـة الغربيين لتـاريخ الشـرق وأممه ولغـاته وآدابـه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره؛ ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم؛ إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم؛ كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمّه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح. وكان حظه من الثقافة يـومئذ مـا تضمنه حصون الأمراء المتوحشين من الكتب، وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من قشور العلم. وآنقضى القرنان التـاسع والعـاشر للميـلاد وأولئك الأمـراء في قصورهم يتبجحـون بالأميـة ويرتعون في الدماء، وهؤلاء الرهبان في دورهم يمحون الكتابـة من روائع الكتب لينسخـوا على صفحاتها الممحوَّة كتب الدين. حتى أزال اللّه الغشاوة عن بعض العيون، فـرأوا من وراء هذا الظلام الداخي بقعة من المغرب تسطع فيها شمس المشرق. فلما تبينوا أن البقعة هي جزء من إسبانيا، وأن النور قبس من نـور بغداد، استيقظ في نفـوسهم طموح الكمـال الإنساني، فطلبوا العلم فلم يجدوه إلا عند العرب.

ففي سنة ١١٣٠ م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولّاها الأسقف ريموند، أخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية، وعانهم على ذلك اليهود. فبعثت هذه الترجمة في أوروبا الخامدة شعوراً لطيفاً، وروحاً طيبة. وتضافرت عَلَى هذا المجهود النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثاني والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ما ترجموه من العربية يومئذ ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور (لكلارك) في كتابه تاريخ الطب العربي، وأحصاها غيره أربعمائة. وكان أكثر ما ترجم في هذه العهود كتب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا، وما نقل إلى العربية من اليونانية لجالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس

الخ . . وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجاً للتعليم في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة، وآحتفظ بعضها بقوته وقيمته حتى القرن التاسع عشر.

قال المؤرخ الإنجليزي ملر في كتابه فلسفة التاريخ: «إن مدارس العرب في إسبانيا كانت هي مصادر العلوم، وكان الطلاب الأوروبيون يُهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة. وكذلك أصبح جنوبي إيطاليا منذ احتله العرب، واسطة لنقل الثقافة إلى أوروبا. وممن ورد تلك المناهل الراهب (جربرت الفرنسي)، فإنه بعد أن ثقف علوم اللاهوت في (أورياق) مسقط رأسه جاب عقاب البرانس والوادي الكبير حتى ورد أشبيلية، فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين. ثم ارتد إلى قومه يبشر فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموه بالسحر والكفر، ولكنه ارتقى إلى سدة البابوية سنة ٩٩٩ م بآسم سلفستر الثاني. كذلك تخرج على علماء قرطبة (شانجه) ملك ليون وأستوريا، وأولع بعض علماء إيطاليا بالعربية، وعدوها لغة الأدب العالي، وأوصى قومه الراهب روجر بيكون الإنجليزي بتعلم اللغة العربية وقال: «إن اللّه يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين، وإنما آتاها اليهود والإغريق والعرب».

على أن الاستشراق لم يبق محصوراً في دائرة الانتفاع بعلوم العرب ومَدَنيَّة الشرق. وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية أو استعمارية أو دينية، فأقبلت الأمم الأوروبية القوية بحكم هذه الدوافع تتنافس في التعرّف على الشرق وارتياد أقطاره، وكشف آثاره، وفتح كنوزه، وإحياء أدبه، وطبع كتبه، وإبراز فنه، ثم صار الاستشراق فناً قائماً بنفسه، يطلب به الوقوف على لغات الشرق ميتها وحيها، والاطلاع المباشر على آدابها وفنونها. وفي سبيل ذلك أسسوا المطابع وأنشأوا المكتبات وألفوا الجمعيات وأقاموا المؤتمرات وأصدروا المجلات، وجمعوا المخطوطات، ونشروا نفائس الكتب، وعلقوا عليها الحواشي وذيلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والموضوعات والأمكنة، ثم كتبوا البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ، وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء، وكشف المجهول على الأسلوب العلمي الصحيح، والمنهاج المنطقي الحديث، فكانوا في ذلك قدوة لمعلمي اللغة ومؤرخي الأدب من العرب، في تحضير المادة، وتنظيم البحث، وتوخي الدقة، وتحرّي الصواب، وتَقَصّي الفروع.

أشهر المستشرقين

اشتهر من المستشرقين الفرنسيين فيتيه Veter المتوفى ١٦٦٧، وهو طبيب الدوق دورليان، نقل إلى الفرنسية تاريخ ابن المكين، وتيمورلنك لابن عربشاه، وعلم المنطق، والأمراض العقلية لابن سينا، واللامية للطغرائي. وهربلو Herblot المتوفى سنة ١٦٩٦،

كان أميناً لسر لويس الرابع عشر وأستاذاً للعربية في معهد فرنسا، ألف (المكتبة الشرقية) وهو معجم جامع لما في الشرق من فلسفة وأدب واجتماع. وسديو Sédillot. المتوفى ١٨٣٢ كان متخصصاً في علم الفلك عند العرب وقد نشر نبذة في الهندسة لابن الهيثم ١٨٣٤ و(علم الرياضيات وجامع المساوىء والغايات) في الآداب الفلكية لأبي الحسن علي وكوسين دي برسفال deparcéval المتوفى ١٨٣٥ نقل تاريخ صقلية تحت حكم المسلمين، ونشر المعلقات السبع وأمثال لقمان. وطبع الجداول الفلكية من الربح الحاكمي، ومقامات الحريري، وترجم الجزء الناقص من ترجمة جلان لألف ليلة وليلة. وسلڤستر دساسي المتوفى سنة ١٨٣٨، برع في اللغتين العربية والفارسية وتخرج عليه فيهما طائفة من أعلام الاستشراق في الغرب. ألف في العربية كتاباً سماه (الأنيس المفيد للطالب المستفيد) اختار فيه صفوة من المنظوم والمنثور، وكتب شرحاً وجيزاً على مقامات الحريري، ونشر كليلة ودمنة وألفية ابن ملك ورحلة عبد اللطيف البغدادي. ثم ألف ثلاث مذكرات قدمها إلى المجامع عن مصر الإسلامية إلى الاحتلال الفرنسي. ومارسل: المتوفى سنة ١٨٥٤ كان مترجم الحملة الفرنسية في مصر، ألف كتاباً في وصف مصر واختار طائفة من الشعر العربي، وله مقالات قيمة عن ابن ميمون، وابن سيناء، والضامري، والقزويني. نشرها في المجلة الآسيوية، وكترمبر المتوفى سنة ١٨٥٧ أخذ العربية عن دساسي، وانتخب عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي ثم محرراً في المجلة الآسيوية. نقل إلى الفرنسية بعض كتاب السلوك للمقريزي، ونشر مقدمة ابن خلدون في ستة أقسام فرنسية عربية ومنتخبات من أمثال الميداني، وكتاب الروضتين لابن شامة. وله أبحاث في المجلة الآسيوية عن النبطيين والعباسيين والفاطميين. وكتاب الأغاني، وذوق الشرقيين في الكتب، وحياة المسعودي وآثاره.

ومن أشهر المستشرقين الألمانيين فريتاغ المتوفى سنة ١٨٦١ تلقى العربية عن دساسي، وعين أستاذاً لها في كلية بونه. نقل ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي. وزبدة الطلب في تاريخ حلب لابن النديم، وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه. وقد وضع معجماً عربياً لاتينياً في أربعة أجزاء. وجوستاف فلوجل المتوفى سنة ١٨٧٠ نشر كشف الظنون، والفهرست لابن النديم، ومؤنس الوحيد للثعالبي، وطبقات الحنفية لقطلوبغا، والقرآن. وفلبشرو المتوفى سنة ١٨٨٨، ألف في الآداب الشرقية كتباً كثيرة، ونشر تفسير البيضاوي والمفَصَّل للزمخشري. وفردنان وستفيلد المتوفى سنة ١٨٩٠، نشر طبقات الحفاظ للذهبي، وسيرة ابن هشام، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ومعجم البلدان لياقوت. ونلدكي المتوفى سنة ١٩٣١ ألف في الألمانية تاريخ القرآن، وتاريخ عروة بن الورد، وبحثاً في الشعر الجاهلي، وبحثاً في المعلقات السبع وغير ذلك.

وممن اشتهر من الإنجليز أدوردلين المتوفى سنة ١٨٧٤ عاش بمصدر صدر شبابه ثم وضع كتاباً في وصف مصر، وكتاباً آخر في عادات المصريين وشمائلهم ترجم أكثره في مجلة الرسالة وطبع مجموعاً في مطبعتها سنة ١٩٤٩، ومعجماً عربياً إنجليزياً، ثم ترجم ألف ليلة ولية إلى الإنجليزية. ووليم موير المتوفى سنة ١٩٠٥ ومن مؤلفاته حياة النبي، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ الخلافة؛ وهي من المراجع المعتمدة في الجامعات الإنجليزية والهندية.

وممن اشتهر من الإيطاليين دافيد سنتالانا المتوفى سنة ١٩٣١ ولد في تونس ودرس في روما، وكان له بالمذهب المالكي والشافعي علم واسع. عين في سنة ١٩١٠ أستاذاً للفلسفة بالجامعة المصرية، فألقى بها محاضرات قيمة. وتلينو المتوفى سنة ١٩٣٨، وقد دعي في سنة ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات في تاريخ أدب اللغة العربية فأفاد بخبرته وطريقته كثيراً من الناس. وقد عني بالمسائل الجغرافية والفلكية عند العرب. واغناطيوس جويدي المتوفى سنة ١٩٢٥ وقد انتدبته الجامعة المصرية كذلك سنة ١٩٠٨ للتدريس فيها فألقى دروسه باللغة الفصحى.

وإذا أردت استقصاء هذا الموضوع فاقرأ كتاب (المستشرقين) للأستاذ نجيب العقيقي فقد ألم بتاريخ الاستشراق إلماماً ينفع الغلة ويغني عن المزيد.

obeikandl.com

ذيـــل

في تفسـير ما ورد في الكتـاب من الألفاظ الغريبة والتركيب الغامضة

٧ كنف اللّه: حرزه ورحمته. عرك الخطوب: شدتها وأذاها. النحلة: المذهب والديانة. اللسن الفصاحة.

١٠ النفر بالسكون: لجماعة يتقدمون في الأمر.

١١ القطر: المطر. يسيمونها. يرعونها. أخلفت السماء: أطمعت في الغيث ولم تمطر. القرابة الواشجة: المشتبكة. الظعينة: الزوجة. البناء بالمرأة: التزوج منها.

١٢ أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً: والمقصود بأنها كلمة جاهلية أنها كانت في العصر الجاهلي قبل الإسلام. ولكن وجه رسول اللّه ﷺ هذا الكلام إلى وجهه الصحيح فقال عندما سئل كيف ننصره إذا كان ظالماً قال: «أن تمنعه من الظلم». الاستقراء: تتبع الحوادث بالملاحظة لتكون منها حكماً. الأنواء: جمع نوء وهو سقوط نجم في الغرب وطلوع نجم بحياله من ساعته في الشرق كل ثلاثة عشر يوماً، وكانوا يضيفون أفاعيل الطبيعة من المطر والرياح إلى الساقط منها فيقولون مطرنا بنوء كذا.

١٦ العرم: السدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي الخزانات. وسيل العرم سيل عظيم هدم عرماً كان أهل سبأ في اليمن قد بنوه فأغرقهم ومزقهم في البلاد.

١٧ المنافرة: المحاكمة في الحسب والنسب.

١٨ شن: اسم رجل، وطبقة: اسم امرأة اتفقا في الذكاء والدهاء فضرب بهما المثل. لأمر ما جدع قصير أنفه: يضرب لمن يظهر شيئاً ويضمر خلافه: يداك أوكتا وفوك نفخ. أوكى السقاء: ربطه. وأصله أن رجلاً نفخ سقاء وربطه ليعبر عليه النهر سابحاً، فلما توسطه انحل السقاء وأوشك الرجل على الغرق، فاستغاث برجل على الشاطىء فقال له هذا المثل، يضرب لمن يجني على نفسه بإهماله. الجدد: الأرض الغليظة المستوية. العي: العجز عن الكلام.

١٩ اللحمة: ما نسج عرضاً، والسدي: ما مد من خيوط الثوب طولاً. القدح المعلى: أكبر الأنصبة في الميسر. الذمار: ما يلزمك حمايته والدفاع عنه. ذات البين: العداوة والبغضاء على رأي آخر. الأقيال: جمع قيل وهو الملك الصغير. يشد أزرها: يقويها ويؤيدها والأزر الظهر. المخاصر: العصبي. والصفاح: السيوف. والنشز:

المرتفع من الأرض. حسن الشارة. جميل الهيئة.

٢٠ صدف عن الدنيا: زهد فيها. داج: مظلم. وساج: ساكن والأبراج اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس في طريقها طوال السنة، المدحاة المدحوة على خلاف القياس وهي المبسوطة. البصائر: جمع بصيرة وهي العلم والخبرة. ورد الماء: أتاه ليشرب، وصدر عنه: رجع، ومعناه هنا الموت وعدم الرجوع منه، الغابر: المقيم. العيلة: الفقر. أجدكما منصوب على نوع الباء، ومعناه أيجد منكما هذا؟ أو منصوب على المصدر ومعناه مالكما؟ أجد منكما هكذا؟ الكرى: النوم.

٢١ الصدى: الصوت والعقار. الخمر. العولة: البكاء. الأشلاء: الأعضاء بعد البلى والتفرق. والصهاء: الخمر. وآستهتر في اللهو: أمعن فيه وآسترسل. النجمة: طلب الكلأ في موضعه. الارتياد: البحث عن المكان المناسب للانتجاع. وعفو الرأي: عاجله. وآكتظم بإدرتنا أغفر زلتنا، والبادرة ما يبدو منك عند الغضب. الوقص: الكسر. والصفاة: الحجر، والقضم. كسر الشيء بأطراف الأسنان. والهضم: الظلم.

٢٢ المقلص: الفرس المشرف الطويل القوائم. والعاتق الكاهل. والنجاد: حمالة السيف. السابغة: الدرع. وعداء علندى: فرس طويل شديد. والنهد: الفرس الجميل الجسيم المشرف. والشطب: جمع شطبة: وهي طريقة السيف في متنه. الجلة: جمع جليل وهي العظام من الإبل. والنيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة. تجشأ: تكلف الجشاء وهو إخراج صوت مع ريح من فمه عند الشبع «تكرع».

٢٣ الحشف: أردأ التمر. راش السهم: ألزق عليه الريش. الريث: البطء. الحوبة: الذنب. سدنة بيته: خزانه والقائمون عليه. الحرص: الدهر.

٢٤ الخور: الضعف. التواكل: أن يتكل كل على الآخر. أحداث الدهر: نوائبه. الغرض: الهدف. تعاوره. تتداوله.

٢٦ يزدهيهم: يستخفهم. عفو البديهة وفيض الخاطر: ارتجالاً من غير روية. المنآد: المعوج. أصادي، أداجي وأخاتل.

٢٧ وعوثة الصحراء: صعوبتها وتوعرها. السمة: العلامة. الحلبة: ميدان السباق. القباطي هي الستور والأثواب والطنافس التي اشتهرت مصر بصنعها قبل الإسلام وبعده، مفردها قبطية وقد وردت بهذا اللفظ في قول زهير بن أبي سلمى:

ليأتينك مني منطق قذع
باق كما دنس القبطية الودك

٢٨ الغيث هنا: البقل والمرعى والوسمي: أول مطر الربيع. والرائد: من يبعثه أهله في طلب المرعى. الأسحم هنا: السحاب الأسود اللون. العجلزة: الفرس الشديد العضل. أترز الجري لحمها: أيبسه وأضمره. الأكرع، جمع كراع: أطراف القوائم. الحال: الثوب الناعم من ثياب اليمن. الصوار: القطيع من بقر الوحش. الجمزى: نوع من العدو. الأجلال، جمع جل: وهو ما يوضع فوق ظهر الفرس سائراً له. القرهب: الطويل الضخم من الثيران. القرا: الظهر. الروق: القرن. الأخنس: منخفض قصبة الأنف، الذيال: طويل الذيل. فعاديت منه: عادى بين الصيدين

تابع العدو في طلق واحد. فتخاء الجناحين: لينتهما في طول. اللقوة: السريعة التي تخطف كل شيء. طأطأ فرسه: وخز. وحركه للعدو. الشملال: السريعة الخفيفة.

٢٩ الأنيعم وأورال: موضعان. الخزان: جمع خزن بالضم والفتح: ذكر الأرانب. حجرت: اختفت في أحجارها. أبيت اللعن: كلمة يدعى بها للملوك، أي حفظت مما تلعن به. تستك: تضيق. الأقارع: بنو قريع بن عوف وكانوا قد وشوا به إلى النعمان، تجادع ـ تشاتم: الجوامع جمع جامعة، وهي الغل في اليد. الأمة: الدين والاستقامة. لصاف وثبرة: ماءان على طريق مكة؛ والألال: جبل. السمام: طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران. خصوصاً عيونها: ضيقات. رذايا: جمع رذية، وهي المطروح المتروك من الإبل الهالك في أثناء الطريق. الحني: جمع حنية؛ وهي القوس. العر: داء جلدي يصيب الإبل في مشافرها وقوائمها. الضالع: الحائر المذنب. السيب: العطاء. التصريد: الشرب دون الري.

٣١ كنع المسك بالشيء: تراكم ولزق. رث الحبل: بلي، والمراد العهد. متع الضحى: بلغ آخر غايته. العصبة بفتح فسكون: الشجرة تعلق في شيء عال فتكون كالخيمة عليه، وهو الشجر المتسلق كاللباب مثلاً. مذود. اسم جبل.

٣٠ الأنأب: شجرة. العم: العظيم. المحرم: الممنوع قطع سوقه. كابة: موضع. لم تخبط: لم تعصب فروعه وتضرب بالعصي فتكسر. لم يتعضد. لم يقطع. عارض: اسم أخ للشاعر. رهط بني السوداء أصحاب أخيه عبد الله. الأحاليف: المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض. قبلاً: عياناً ومقابلة. غرية: حي من بني حشم. القعدد: الجبان يقعد عن نصر قومه. الصياصي جمع صيصاة: شوكة يسوي بها الحائك نسجه. البو: ولد الناقة أو البقرة يحشي جلده تبناً فتجد رائحته فيه فتدر اللبن له. البرم. من لا يدخل مع القوم في الميسر ضناً بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها للفقراء. تناوحت الريح: هبت من كل ناحية، وذلك زمن الشتاء. العضاه: الشجر الشائك. الضريع: نبات خبيث لا تقربه الدواب. المعضد: المقطع. كميش الأزارء قصيره، وذلك كناية عن العفة والنجدة. طلاع أنجد: كناية عن اقتحام الصعاب. السيد العمرد: الذئب الشرس في عسلانه، يريد به فرسه. الشظي: العظم اللازق بالساعد أو الساق. العبل: الضخم. الشوى: الأطراف. النسا: عصيب يجري في الفخذ والساق. والشنق: المقبض، المنقبض. المقلد: العنق. المصدر: الأسد. الجبيل فثهمد: موضعان. طحا به قلبه: ذهب به كل مذهب. شط وليها: بعد وصالها.

المغمر من الرجال: المحمق الذي يستجهله الناس. ما أنت أم ما ذكرها؟ ما استفهامية للتعجب، وأم للإضراب بمعنى بل أي ما شأنك، بل ما الداعي لذكرها إياك وهي من ربيعة وأنت من تميم. القليب. البئر: الجسرة: الناقة القوية: الرادف: كل شيء يكون خلف الراكب. الخبيب: السير السريع. الوجيب: خفقان القلب. النهدة: الفرس الحسن الجسم. البواء: السواء والكفء. شعصها: ضربها ونخسها. العادية: القوم يعدون وكذلك الخيل. سوم الجراد: انتشاره في طلب

المرعى. وزعتها: كففتها ومنعتها. سبأ الخمر: اشتراها. الأيسار: الذين يضربون القداح في المقامرة. أقلبه: أبغضه.

٣٢ شالت نعامتنا: تفرقنا واختلفنا. الهامة: فيما يزعم العرب طائر كالبوم يخرج من قبر ٣٤ القتيل إذ لم يأخذ بثأره فلا يزال يصيح ويقول اسقوني حتى يثأر له. لاه ابن عمك: أصله للّه ابن عمك فحذفت اللام الخافضة في لحن الكلام. الديان: القائم بالأمر، المسغبة: المجاعة. العزاء: الضيق والشدة. زيد على مائة: زيادة عليها. سفوان: اسم مكان. والكماة الفرسان جمع كمي. الحدثان. الحوادث. المقاديم: جمع مقدام. والمرار بالروع هنا الحرب.

٣٣ أبيض فياض: نقي من العيوب كريم والمعتفون طالبو المعروف. ما تغب فواضله: ما تنقطع عطاياه. المقامات: جمع مقامة وهي الجماعة في مجلس واحد. والانتباب. القصد إلى الموضع.

٣٥ المكثرون: الأغنياء. ومن يعتريهم: يقصدهم من الفقراء. لم يليموا: لم يقعوا في اللوم. ولم يألوا لم يقصروا. الخطي: الرمح نسبة إلى الخط وهي جزيرة في البحرين شهرت بعمل الرماح والوشيج شجر الرماح، ومعنى المثل لا يلد الكريم إلا الكريم. لاح الشيء: لمحه وأبصره. واليفاع. التلال. والمقرر: من أصابه البرد. يصطليانها يستدفئان بها. والأسحم الداجي: الليل الشديد السواد. وكف مبيدة: متلفة. الهجان: البيض الكرام من الإبل، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع. الأوارك: جمع آركة، وهي التي رعت الآراك. المومأة: المفازة. جحيشاً: فريداً. والمنخرق: السريع. الشد: العد.

حاص عينيه الكرى: خاطها على الاستعارة. الشيحان: الغيور على حرمه. الربيئة: الطليعة. تاج: اسم مكان. وما تمر وما تحلي: أي لا تنفع ولا تضر.

أحساب نيتن مع البقل: أحساب غير أثيلة أحدثها الغنى. والواسل. الطالب الراغب من اللّه. تصفر منها الأنامل: كناية عن الموت. الحصائل جمع حصيلة: وهي ما كسبه المرء من حسنات وسيئات. يقسم أمره: يديره. هبلته أمه: ثكلته وفقدته. والوائل: الناجي. والموائل: المنجي. تزعك العوازل: تكفك الحوادث. الخابور: نهر بين رأس عين والفرات. والكلس ما يبنى به من النورة وأخلاطها. الخورنق والسدير: قصران عربيان جاهليان: والصبا: الريح الشرقية. الدبور: الريح الغربية. وألوت به. ذهبت به. الكلكل: الصدر. انجل: انكشف. الإصباح: الصبح. وأمثل: أفضل. مغار القتل: محكمه. ويذبل جبل في نجد.

الوكنات: الأعشاش. والمنجرد: القصير الشعر. والأوابد. الوحوش ومعنى قيد الأوابد أنه يلحقها فيمنعها من الفرار فكأنه قيدها. والهيكل: الضخم. والمكر: كثير الكر. والمفر: شديد الفر. الأيطلان: الخاصرتان. والإرخاء: الجري. والسرحان: الذئب. والنقريب: العدو والنتفل: الثعلب. الحدوج: جمع حدج وهو مركب النساء كالمحفة. والخلايا: السفن العظام. والنواصب: مسايل الماء ومجاريه في الجبال. وود: اسم مكان. عدولية: نسبة إلى عدول، رجل كان مشهوراً بصنع السفن. وابن يامن: رجل ملاح كان يتخذ السفن الكبار. الحباب: الموج. والحيزوم: الصدر والمفايل:

لاعب الفيال وهي لعبة كان يلعبها صبيان الأعراب، يخبئون الشيء في التراب ثم يقسمونه بأيديهم ويقولون: أين هو؟. النطفة: الماء النقي لا كدورة فيه. والمزن السحاب. والجودي: اسم جبل. ودامس: مظلم. اللصاب جمع لصب، وهي شقوق في الجبل. والقارس. البارد. الكواكب ما طال من النبات، والنبات العميم: المكتهل التام. والأصل جمع أصيل آخر النهار. صعر خده: تاه وتكبر. والعرانين: الأنوف. الميسم: أثر الوسم وهو الكي. استقاد: آقتص. الشجاع: الحية. صمم: عض ونيب.

٣٦ ينضحون عنهم: يدافعون، عهد الثقافة: عهد التلمذة والتدرج.

٣٧ شام البرق: نظره. والقلل: الجبال والجلل هنا: الحقير.

٣٨ فصل بالجنود: رحل بها. تهرأ لحمه: تقطع وسقط. وجفنة مثعفجرة: قصعة ملأى. وطعنة مسحنفرة: سريعة. مساجلة الشعراء: أن يتناشد الشاعران بيتاً فبيتاً أو شطراً فشطراً يبدأ الأول ويكمل الثاني. المها: بقر الوحش. سقط اللوى: منقطع الرمل. والدخول وحومل: موضعان في بلاد العرب.

٣٩ أزمعت: نويت. أجملي: ترفقي، أعشار القلب: أجزاؤه مقسمة إلى عشرة. الخليقة: الطبع. وسلي ثيابك الخ كناية عن المفارقة. كذلك حدى: حظي. جمل وأعفر: موضعان بالشام. وحوران: كورة من أعمال دمشق. والآل: السراب، واللبانات: الحاجات المعنوية. وحماة وشيزر: بلدان بالشام. والدرب: باب السكة الواسع وكل مدخل إلى بلاد الروم. درب الماء النابع الذي لا ينقطع. السراة وذوو المثالة: أشراف القوم وكبارهم: طأطأ من إشرافه: خفض تعاليه.

٤٠ طلال الخفض: السعة والنعيم. درج بالنميمة بينهما: سعى بها. كليني: دعيني. وهم ناصب. متعب. وبطء الكواكب: كناية عن طول الليل. أراح: رد. وعازب: بعيد.

٤١ الأشائب: الأخلاط من الناس. البيض: السيوف. الغلول: الثلوم. القراع: المجالدة. الأحلام: العقول. غير عوازب. غير ذاهلة ولا غائبة. رقاق النعال: كناية عن الترف والحجزات جمع حجزة: وهي معقد الأزار.طيب الحجزة: كناية عن العفة، ويوم السباسب عيد الشعانين، وكان من عادة العسانيين أن يحيوا ملوكهم فيه برفع أغصان الريحان. ضربة لازب. أي شيء ثابت لازم. الجدة: المعنى، ورحب الأناة: حليم وراجح الحصاة. وافر العقل.

٤٢ اللفظ الحوشي: ما يتحاشاه الكاتب لغرابته أو ثقله وهجر الحديث فاحشه وتعمل الشعر تكلفه.

٤٣ السحيل. المفتول فتلاً واحداً، والمبرم المفتول على قوتين، وهما مستعاران للضعيف والقوي. منشم اسم امرأة عطارة اشترى منها قوم عطراً وتحالفوا على قتال عدوهم: وجعلوا آية الحلف غمس الأيدي في ذلك العطر وقاتلوا حتى فنوا. فضرب المثل في الشؤم بعطر منشم. التلاد: المال الموروث. والأفال والمزنم المشروط الأذن. خبط عشواء: تسير على غير هدى كالناقة التي لا تبصر أمامها. يفره: يحفظه.

٤٤ ثقف الشعر: تعلمه وأتقنه. آبيضت عيناه: كناية عن العمى. الفرق: الخوف.

٤٥ المألكة: الرسالة. وتأتكل: تحترق من الغضب. الآثلة: واحدة الآثل، شجر عظيم صلب وتحت الأثلة: كناية عن القذف والغيبة. وأطت الإبل: أنت وحنت. الوعل: تيس الجبل. فتل جمع فتول: وهو الكثير الفتل. الأرمد: من به رمد في عينه والسليم: الملدوغ، سمي بذلك تفاؤلاً ببرئه. والمسهد، الساهر. الخلة: الصداقة. ومهدد: اسم امرأة: تردد الدهر: تغير وتقلب. الكلالة: التعب؛ والضمير في لها يعود على ناقته. والوجي: وجع الخف ورقته من كثرة السير.

٤٦ تراجي: تستريحين ـ والفواضل: العطايا. ما تغب ما تنقطع. أغربة العرب: سودانها. مسعر حرب: مضرمها ومشعلها. الضر: شد ضرع الناقة حتى لا يرضعها ابنها. ترين على القلوب: تشغيها. يتذامرون: يحض بعضهم بعضاً على القتال.

٤٧ الأشطان: الحبال التي يرفع بها الماء من البئر. واللبان. الصدر. والأدهم الفرس الأسود. بثغرة نحره: أعلاه. أزور: مال. التحمحم: حنين الفرس ليرق له صاحبه. وبك: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب والكاف للخطاب. الشيظمة: الفرس الطويل والأجرد قصير الشعر. الحتف: الموت. أقني حياءك: الزميه. لا أبا لك: جملة يراد بها التنبيه لا التعنيف. تلاحظوا: نظر بعضهم بعضاً بمؤخر عينه من شدة الهول. معم مخول: كريم الأعمال والأخوال. ساهمة الوجود عابسة. والطوى: والجوع.

٤٨ الحباء. العطاء. أخذ وجهه: سار في طريقه. حاد البادرة: سريع الغضب. خولة: اسم امرأة. هوجاء مرقال: ناقة شديدة السرعة. العتاق: الجوارح من الطير والنجائب من الخيل. الوظيف: مستدق الذراع والسلق من الخيل والإبل وغيرها. المورد المعبد: الطريق الموطوء المستوي. العثنون: شعرات طوال عند مذبح البعير. وصهابية: نسبة إلى صهاب وهو فحل مشهور. موجدة القرا: قوية الظهر. الوخد: سعة الخطو. موارة اليد سهلة السير سريعته.

٤٩ الأتلع: العنق الطويل. التلاع: مجاري المياه من رؤوس الجبال إلى الأودية. استرفد: طلب الرفد وهو المعونة. الحانوت: حانة الخمار. الطريف: المال المكسوب والمتلد: المال الموروث. البعير المعبد: المطلي بالقطران. بنو غبراء: كناية عن الفقراء. الطراف: القبة من الجلد. الدجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء. البهكنة: المرأة الغضة. المحنب من الخيل: المنعطف العظام، وذلك مدح له. سيد الغضى: الذئب. يعتام الكرام: يصطفيهم، والعقيلة: كرام المال. الطول: الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه، والثنيان: طرفاه، الموت أعداد النفوس: أي بعددها، فلكل نفس موتة.

٥٠ طريقة قومه: كبيرهم ورئيسهم.

٥١ غمر البديهة: فياض القريحة. انظرنا: أمهلنا. المخاريق: جمع مخراق وهو سيف من خشب يلعب به الصبيان والجهل: معناه الشدة والسفه. لين القناة: كناية عن الذل، الخسف: الظلم والهوان.

٥٢ ارتجلها عفو الساعة: أنشدها ارتجالاً. ينصح عن قومه: يدافع عنهم. ليقيد منها: ليقتص منها. استل من قلبه السخيمة: أخرج الضغن منه.

٥٣ الأراقم: بطون من تغلب. ويغلون: يبالغون. وإحفاء: إلحاح. رقش الكلام: زوّره وزخرفه. لا تخلنا على غرائك: أي لا تظن أنا نحفل بإغرائك. ملك مقسط: عادل. الخطة: الأمر. والأملاء: الجماعات والمفرد ملأ. الطيخ: التكبير، والتعاشي: التعامي. الحلف: المحالفة. والكفلاء: جمع كافل وهو الضامن. الجناح: الذنب. وكندة: قبيلة. الرغاء: صوت البعير. والنجاء: الإسراع في السير. والموائل: الهارب الفزع. والحرة: الأرض ذات الحجارة السود: والرجلاء الغليظة الشديدة. والطود: الجبل. المعترين: الفقراء.

٥٤ مشيع القلب: شجاع. اللزاز: من يلزم الشيء ويعتمد عليه فيه والجشام: المتكلف للأمور، والمغذمر: الغضوب في همه. لا يطبعون: فلان يطبع إذا لم يكن له نفاذ في مكارم الأمور: والبوار. الفساد.

٥٥ أفظعت العشيرة: أصيبت بأمر فظيع.

٥٦ لا تلبق مما تملك شيئاً: لا تبقى. آليت: حلفت. استقروه: طلبوا منه القرى وهو طعام الضيف، صرف الحديث: المختلق المزور. السنة: المجاعة. اقشعرت الأرض: تقبضت من عدم المطر. حدبا جدابير. ناقة حدباء. وحدبار: بدت حراقفها من الهزال. ليلة صنير: باردة. تهورت النجوم: أي ولى أكثر الليل. كسرت البيت: جافيه. وجأ ليته: نحو عنقه.

٥٧ ينهنهه الزجر: يكفه. الصدى: الجسد من الإنسان بعد موته.

٥٨ ترق. تعوذ. الأنى: الحلم، العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة، الأود: الاعوجاج. المسوح: ثياب الرهبان. سقط في يده: ندم. أوهاق المنية: حبالها.

٥٩ نابى القافية: قلقها. اليافع: الغلام إذا نزعرع وشارف البلوغ. وتعل: تسقى المرة بعد المرة. وتنهل: تشرب أول الشرب. المطروق: المصاب.

٦٠ الحميم المكظوم: الماء الحار المحبوس. الإيلاف: رحلتان تجاريتان لقريش في الشتاء لليمن وفي الصيف لحوران.

٦٣ يؤرثون النار: يشعلونها.

٦٨ الجزع بالفتح: الخرز اليماني والصيني فيه بياض وسواد. منجماً: مفرقاً مجزءاً على حسب الحوادث.

٦٩ المصادع جمع مصدع: وهو البليغ القومي. السكات والحصر: العي والعجز.

٧٠ أحلاماً طافية عقولاً طائشة.

٧١ العسب جمع عسيب. وهو جريدة النخل قد نزع خوصها: واللخاف: حجارة بيض رقاق.

٧٥ المنبت: المنقطع عن أصحابه في السفر. الظهر: الدابة. الجمل لأنف: لمخزوم: تشدق الرجل: لوى شدقه للتفصح. تفيهق في كلامه: توسع وتنطع. الفرس الشموس: الذي لا يمكن أحداً من ظهره، وضده الذلول.

٧٦ الصفق في الأسواق: البيع والشراء. أنغض رأسه إليه. حركه تعجباً واستهزاءً.

٨٣ الغرزمة. أول عهد الشاعر يصنع الشعر. أشفى على الخطر: أشرف عليه.

٨٦ المزاء (بالضم): اسم للخمر اللذيذة الطعم. السكر (بفتح السين والكاف): نبيذ يتخذ من التمر والتوت.

٨٧ القطين جمع القاطن. وهم أهل الدرا. الغوارب: جمع غارب، وهو الكاهل. المسطار: الخمرة الصارعة لشاربها.

٨٨ الفتاة الخفرة: الحيية. الأتن: جمع أتان. أنثى الحمار. الأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

٨٩ رجلي ترعية: يجيد وعارية الإبل الهراش: الخصام والقتال، وهو مستعار من هراش الكلاب. القلف: عدم الاختتان.

٩١ القرمل: شجر ضعيف لا شوك له وينفضخ إذا وطىء. الفياش: فخر الرجل بما ليس عنده. صغى البعيث: مال وخضع. اللأمة: الدرع.

٩٢ ابن اللبون: ولد الناقة إذا استكمل العام الثاني. لز في قرن: شد في حبل. البزل: جمع بازل وهو البعير انشق نابه بدحوله في السنة التاسعة. القناعيس: جمع قنعاس: وهو العظيم من الإبل.

٩٤ كسعه: ضرب دبره بصدر قدمه وطرده. النفل (بالفتح): الغنيمة. كاس الذيفان: السم.

١٠١ طارت نفسه شعاعاً: تبددت من الخوف أو نحوه. لن تراعي: لن تفزعي. والخنع: الذل. واليراع: الجبان.

١٠٢ يعتبط. يموت من غير علة. سقط المتاع: رديئه. الشليل: الدرع. أجم المعروف: كرهه. والعوراء: الكلمة القبيحة. وكره: تتابعه. للندى والسدى: رطوبة الجو، والمراد بهما المعروف. والخود: المرأة الناعمة. وعقبة القدر: ما بقي فيها من المرق وذلك كناية عن الحدب. الفنن: الغصن. الورقاء: الحمامة.

١٠٣ تخرموا: هلكوا. المروة الحجر. يفغمني: يسد خياشيمي. فشاول بقيس: دافع بهم ومارس.

١٠٥ ميعة الحب: أوله وأصله. والغماء: الشدة. المنادح: المفاوز.

١٠٦ لا طباخ لهم: لا فائدة ولا قوة. والدندن: أصل الصليان وهو من البقول.

١٠٧ البوادر: الشدة. منوا بداء السياسة: أصيبوا به.

١٠٨ كأساً روية: ملأى. ويب غيرك، الويب كالويل وزناً ومعنى، لعاً لك: دعاء للعاثر لينهض. فوز: مات.

١٠٩ الآلة الحدباء: النعش. تنهنه دموعها: تكفكفها.

١١٠ الجرس هنا بمعنى النغم. أمثل قومه: أشرفهم. تعرقني الدهر: من قولهم تعرق العظم أخذ ما عليه من اللحم نهشاً بأسنانه.

١١١ الخز: الحرير. والبز: الكتان.

١١٢ مغلغلة: رسالة. عبد الدار: قبيلة. لا يطبعون: لا يفسدون.

١١٣ جلق: اسم دمشق. وشم الأنوف: كناية عن الشهامة.

١١٤ الجنب. الغريب. متحي وأمراسي المتح: إخراج الماء من البئر. وأمرس البكرة. أعاد حبلها إلى مجراه. الآسي: الطبيب. الأرماس: القبور. هرته الكلاب: نبحته. العرف: المعروف.

١١٥ الحفيظة: الغضب، خلا ذرعه: فرغ باله. العواتق: الأرانس.

١١٦ نوطة: تعلق. تبع نساء: يزور النساء ويتبعهن. يخصر: يبرد.

١١٧ توألت: طلبت النجاة: أريتك: بمعنى خبرني. تغور النجم: أفل. الكاعب: الفتاة الناهد. والمعصر من بلغت شبابها. المشاش: رؤوس العظام.

١١٨ سليط اللسان: بذيئه.

١١٩ العارم: الشد. والذكرد: الشديد القتال. حشد على الحق: سراع الإجابة عند النداء. عيافو الخنا: كارهون للفحش. أنف: أباة الضيم. شمس العداوة: ألداء

الخصام. مجلله: عامة. المساحي: الفؤوس.

١٢١ مقذع: مفحش. نكباء حرجف: ريح باردة شديدة الهبوب. الصقيع: الثلج. سروات النيب: ظهور الجمال: ونطف الرجل: اتهم بريبة. والعبيط اللحم. القعساء: العزة. المصير، واحد المصران: الأمعاء. والألق: الجنون أو شبهه. بحمراء الفروع: نار القرى.

١٢٢ ينجاب: ينكشف. والقتم: الغبار. صعر خده: أماله عن الناس كبراً. الأخادع. جمع أخدع وهو شعبة في العنق من الوريد.

١٢٣ يرامي قرنه عن كثب: ينازل خصمه من قرب. اللقحة: الناقة. والرعاء: جمع راع. أرث النار أو الحرب: أضرمها.

١٢٥ المقرف: النذل ومن أبوه غير عربي. والوزار: كثير الإثم. كبش الجحفل: قائد الجيش. نقض مرة: وهن قوة. التطين: الخدم والحشم والأتباع. السمت: هيئة أهل الخير.

١٢٦ الضراعة: الذل. الكرابيس: جمع كرباس وهو الثوب الخشن الغليظ من القطن. رغيب العين: طماع.

١٢٧ العنجهية: الجفوة والخشونة. الاعتراض: صعوبة المراس. ريق الغرة: رونق الشباب. والبياض الشيب. تنوص: تتحرك. صيدحي الضحى: الصياح الرفيع الصوت. الأباس: القيد. السبنتاة: الحريئة من كل شيء وغرضه الناقة. أمارت: أسالت، الكراض بالكسر: الفحل، القوداء: طويلة الظهر والعنق. أنفجت بالبناء للمجهول: رفعت. الزحاليف: جمع زحلوفة وهي المكان المنحدر المملس. الصفصف: المستوي من الأرض. الدخاص جمع دخص وهو المزلق. الأحفاص: جمع حفص وهو البعير الضعيف: استعاره هنا للجبان. الثأي: الصدع.

١٢٨ ورأيه: أصلحه. العين: الماء الجاري. لوث العمامة: لفها وتكويرها.

١٢٩ ظمء حياته. من يوم ولادته إلى يوم وفاته. يحبو للسادسة: يقاربها. أخلى ذرعه: أفرغ باله.

١٣٠ الكل: العبء. المربوع والربعة: الرجل بين الطول والقصر، المشذب: الشديد الطول في نحافة لشعر الرجل: الذي كأنه مشط فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جعده. القيقة: شعر الرأس والمراد إن انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة. الحاجب الأزج: المقوس الطويل الوافر الشعر. القرن: اتصال شعر الحاجبين وضده البلج. أقنى العرفين: سائل الأنف مرتفع الوسط.

١٣١ الأدعج: الشديد سواد الحدقة: كث اللحية: كثيفها. ضليع الفم: واسعه. الأشنب ذو الشنب وهو رونق الأسنان وماؤها. والفلج: فرق بين الثنايا، المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة. الدمية: المصورة من العاج. البادن: ذو اللحم المماسك الذي يمسك بعضه بعضاً. الكراديس رؤوس العظام. شثن الكفين والقدمين: غليظهما ولحيمهما، سائل الأطراف: طويل الأصابع. خمصان الأخمصين: متجافي أخمص القدم والأخمص هو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم. مسيح القدمين: أملسهما. التقلع: رفع الرجل بقوة. التسكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده. الهون. الرفق والوقار.

ذريع المشية: واسع الخطو. من صبب: من علو. بختمه بأشداقه: يستعمل جميع فمه للتكلم لا يقتصر على تحريك الشفتين. يند: ينفرد ويشرد.

١٣٢ مات حتف أنفه. مات على فراشه لأن العرب يزعمون أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جرحه. حمي الوطيس. اشتدت الحرب، والوطيس: التنور أو المعركة. هدنة على دخن: سكون لعلة لا لصلح والدخن: الحقد. رفقاً بالقواريرِ: جمع قارورة. وهي المرأة تشبيهاً لها بالزجاج لضعفها. الختن: زوج البنت أو زوج الأخت. لحنه أخته: لامته.

١٣٣ شاهت الوجوه: قبحت. الدهماء: عامة الناس. الغلس: ظلام الليل. السبال. جمع سبلة وهي طرف الشارب.

١٣٤ آس بين الناس: ساو بينهم. الغلق: الضجر والغضب. أقدعوا النفوس: كفوها وآردعوها.

١٣٥ ناوس الحرة ثم سالمها: الحرة خشبة في رأسها كفة تصاد بها الظباء، وناوصها الظبي. حابذها ومارسها. يضرب هذا المثل لمن يخالف القوم عن رأيهم ثم يرجع إلى قولهم ويضطر إلى الوفاق. استوثق الأمر: أمكن وانتظم.

١٣٦ الداء الدوي: الدفين الذي لا يطب له. والنزعة: جمع نازع وهو رافع الماء من البئر. الأشطان الحبال. والركي: بئر غير مطوية. اللقاح: النياق. مرهت عينه: ابيضت حماليقها. عض الأيدي: كناية عن الندم. يسني لكم طرقه: يمهدها. خيل شمس: جمع شموس وهو الذي يمنع ظهره ولا يكاد يستقر. والذلل جمع ذلول وهو المروض الطيع.

١٣٧ ركلها: رفسها برجله.

١٣٨ ضربت فيه بعرق أشب: أي ذي التباس فنسبه غير صريح. الرأي الجميع: الحازم. واللسان الدرب: الحاد.

١٣٩ لم الشعث: جمع المتفرق. دلج الليل: سير آخر الليل للغارة. كنس كنوساً: تغيب واستتر. ومكانس الريب: محال المنكر. جعلت ذلك دبر أذني: لم أصغ إليه ولم أعرج عليه.

١٤١ تنكب قوسه: حملها على منكبه. ذيم: اسم فرس أو ناقة. لفها. جمعها. حطم: مسرع. الوضم: خشبة يقطع عليها اللحم. العصلى: الشديد. الأروع: الذكي. الدوي: الصحراء. والخروج منها كناية عن الخبرة والصبر والجلادة كقولهم: طلاع الثنايا. العرد: الشديد. البكر: الفتي من الإبل. الشنان: جمع شن وهو الجلد اليابس يعلق في الخباء فإذا دنت الإبل منه حرك فنفرت من صوته (أي لا يخاف مما لا يخيف) فررت: أي اختبرت فوجدت ذكياً. الكنانة: جعبة السهام. عجم عيدانها: عضها لينظر أيها أصلب. أمرها: أقواها. الإيضاع: نوع من السير.

١٤٢ السلمة: شجرة القرظ تعصب ثم تخبط بالأرض أو بالعصي ليسقط ثمرها. ومعنى الجملة أنهم كهذه الشجرة لا ينتفع منها إلا بالشدة. غرائب الإبل تضرب أشد الضرب عند الهرب. وعند الخلاط لا أخلق: لا أقدر ولا أفصل. فريت: قطعت.

١٤٣ الألوية السود: أعلام العباسيين.

١٤٤ تحور: ترجع. الأفاويق: جمع فيقة وهي اللبن. رمحتنا: رفستنا الطير. بارحة: كناية عن سوء الحال. الأسار: القيد.

١٤٥ أوسطهم داراً: كناية عن السؤدد والشرف.

١٤٦ لا تنقسوا: نفسِ عليه خيراً: حسده عليه

ولم يره له أهلاً. تتسللون لواذاً: تهربون خفية. الظليم: ذكر النعام.

١٤٧ أحمرها وأسودها: عجمها وغربتها. تعنو: تخضع. وتحب القلوب: تخفق. داخرين له: أذلاء. الجريرة. الذنب: فسودوا كباركم: اجعلوهم سادة لكم. المسألة: سؤال الناس استجداء.

١٤٨ ضم نشرهم: جمع متفرقهم.

١٥٣ ينمون: ينتسبون. وقسراً: غضباً وقهراً. ثل: هدم. آرية نسبة إلى الآريين وهم قدماء الجنس الهندي الأوربي.

١٥٥ الفلج: النصر الكبث. الإذلال. الجنة: طائفة من الجن.

١٥٦ قمع: قهر وذلل.

١٥٧ تلكأ: أبطأ وتوقف. المزاوجة: اتفاق الكلمات وزناً لا روياً. الملح جمع ملحة وهي ما حسن من الأحاديث.

١٥٩ العظائم: الشدائد. والسخائم: الضغائن. أشكيناك: أزلنا شكايتك وأعتبناك: قبلنا عتابك. الحفيظة: الغضب والموجدة.

١٦٠ عروة هذا القميص. يريد الخلافة. خبىء الغمد: السيف. العرفج: شجر سهل وهو القتاد. الهلوك المرأة التي لا تملك نفسها عن زوجها. الآن: ظرف متعلق بأمن أي الآن أمن الأحمر والأسود.

١٦٢ باب الأبواب: ثغر من ثغور بحر قزوين وكانت مدينة شهيرة تعرف الآن بدربند. الغارب: الموج. تحوذ: تسوق. وملكنا البحر: توسطناه. البحرين: البحر والمطر. الثمال: من يعول عليه. وسروات: جمع الجمع لسري وهو السخي ذو المروءة وسريات جمع: سرية وهي الرفيعة القدر. القلب. العسكر. والظهر: الدابة. واليد: النعمة. والأعضاء: الأعوان. والجوارح: الأعضاء. والحاجب: الخادم. والعين: الذهب. والراحة ضد التعب. صلد الزند: كناية عن الخيبة. اليمن: القوة: واليسار: الغنى. المرافق ما يرتفق به. الثنية: الفتية من النوق. والناب: الناقة المسنة. العيش الأخضر: كناية عن المعيشة الطيبة والمحبوب الأصفر: الذهب. فودي: جانب رأسي. والعدو الأزرق: الشديد العداوة. الموت الأحمر: القتل بالسيف.

١٦٣ احتجن المال: ضمه إلى نفسه. تقفعت: تقبضت. الحلة: الحاجة النقص.

١٦٥ الأساود جمع أسود: وهو العظيم من الحيات. الفادح: الثقيل. والعياء الذي لا يبرأ منه. يماري: يجادل. وينازع. وبذ: غلب. وعادياً: واثياً. ويدلي: يحضر ويحتج.

١٦٦ أثيراً: مقرباً. الفالج: داء يحدث في أحد شقي البدن فيبطل إحساسه. تبلغت به العلة: اشتدت. مجانة: مزاح وهزل.

١٦٧ فل: ثلم. وشباة: حد، على رسلي برفق وتؤدة.

١٦٨ لساجلتك. باريتك وعارضتك. المصارمة: المقاطعة. يديل: أدال اللّه فلاناً من فلان جعل له الكرة عليه. القلى: البغض. الجادة: وسط الطريق. البنيات: الطرق الصغار تتشعب من الجادة. الجهارة: حسن القد والمنظر. يتنيل: يتشبه بالنبلاء.

١٦٩ المدارج: الطرق. يتوقل: يتصعد. اضطلع بكذا: احتمله ونهض به. عشارها: جمع العشراء للناقة متى مضى على حملها عشرة أشهر. القولنج: مرض مؤلم من أمراض المعدة. النقرس داء يأخذ في أصبع الرجل.

١٧٠ الديباجة هنا حسن الأسلوب. الوشي: نقش الثوب من كل لون. الغرار: المثال

الذي تضرب عليه النصال لتصلح. يمت: مت إلى فلان بكذا وصل إليه وتوسل. غلول: خيانة. استئصالك: اصطلامك. حلبت شطريها: مر بك خيرها وشرها. ظل ذو ثلاث شعب: دخان جهنم على وجه التشبيه.

١٧١ حلي بصدرك: أعجبك سريج: مسجل. الحشاشة والذماء: بقية الروح في جسم المريض: البرحاء: شدة الأذى والمشقة. أعضلنهن: عضل المرأة حبسها عن الزواج.

١٧٣ الغلواء: السرعة والذهاب إلى الغاية. مني: أصيب.

١٧٤ شام البرق: نظره. الإيماض: البريق.

١٧٥ عوارف: جمع عارفة وهي الصنيع والجميل. ألقى عصاه: كناية عن الإقامة بعد الظعن.

١٧٦ عفو الساعة: بسرعة من غير كلفة. ابن بجدتها: العالم بالشيء المتقن له. والبجدة باطن الشيء. الكدية: التسول. السماط: الشيء المصطف وما يوضع عليه الطعام. الأشراط: العلامات.

١٧٧ المقة: المحبة. دخلة الرجل نيته ومذهبه. النحلة: النوع أو المذهب. الأزر: الظهر والقوة. التولب: الخنزير: أقني حياءك: الزميه. خزاً وبزاً: حريراً وكتاناً. مطارف: جمع مطرف وهو رداء مربع من الخز في طرفيه علمان. تعزى: تنسب. العافون. جمع عاف وهو طالب الرزق.

١٧٨ خضرة الدمن: ما نبت في المزبلة من العشب. المعيدي: رجل من معد يضرب به المثل في حسن الصيت وقبح المرأى. الغلائل: جمع غلالة وهي الثوب الرقيق، الأحاجي: جمع أحجية وهي الكلمة المغلقة يتحاجى الناس بها.

١٧٩ التنويل: العطاء. الاعتمار: القصد والزيارة.

١٨٠ المسغبة: الجوع.

١٨٢ مؤاتاة: مساعدة. الأخبية المطنبة: الخيام المضروبة.

١٨٣ يتقيلون: يتشبهون، تجرم: نقضي. عييت: عجزت. مهلهلة النسج: سخيفته.

١٨٤ أشرع الرمح. شهره. البنود: الأعلام. الكماة: الأبطال.

١٨٥ حسبة: إدخاراً عند آللّه.

١٨٦ الأطمار: الثياب البالية. الآبق: الهارب. النواطير: جمع ناطور وهو حافظ الكرم والنخل. يشمن: امتلأت بطونهن. الصيد: جمع صيد، وهو الشريف العزيز. جدا كل جبس: أعطاه كل بخيل دنيء: بلغ. جمع بلغة وهي ما يتبلغ به من المعيش: صبابة العيش: بقيته وآخرته. طفقتها: نقصتها.

١٨٧ الرحل هنا: المنزل. وحضرت الهموم رحلي: طرقتني. المدائن: مدائن كسرى وهي إلى جنب بغداد. الأبيض: إيوان كسرى: والعنس: الناقة الصلبة. درس: قفر. خافضون في ظل عال: منعمون في قصر مشيد. يحسر العيون ويخسي: يردها حاسرة خاسئة لارتفاعه. خلاط ومكس: مكانان. حلل: جمع حلة، وهي مكان النزول والقرية. البسابس: القفار. عنس قبيلة من اليمن: والبحتري طائي يمني. غدون أفضاء ليس: صرن باليات. الدرفس: راية الفرس. إغماض جرس: سكوت. المشيخ: البطل. يغتلي ارتيابي: يزداد. وتنقراهم: تفحصهم، أبو الغوث: ابن البحتري. ولم يصرد: أي لم يسق دون الري. والعسكران: مكان. اللخس: أخذ الشيء في نهزة ومخاتلة. أضوأ

الليل: أضاءه. الجوب: الكانون والمكان الوطيء وأرعن جلس: جبل شاهق. يتظنى الخ... يظنه القادم عليه إنساناً مزعجاً بفراق حبه أو بتطليق زوجه.

١٨٨ الدمقس: الحرير. ورضوى وقدس: جبلان. البرس: القطن. النكس: الوضيع. ووقوف: جمع واقف. وخنس: مستترون. القيان: المغنيات. يرجعن: يغنين وحو ولعس: جمع حواء ولعساء لسوداء الشفة، وكانت صفة مستحسنة. غير نعمى لأهلها عند أهلي: يشير إلى قصة سيف بن ذي يزن وآستعانته بكسرى في طرد أرباط ملك الحبشة من اليمن بعد أن ملكها، والبحتري كما نعلم يمني. السنح: الأصل. حالية العذارى، لابسة الحلي منهن. الجديدان: الليل والنهار.

١٨٩ الشملال: الناقة السريعة. لم أعتمد أي لم أتعمده.

١٩١ قد حال في: تغير. الطرق: الماء خوضته الإبل وبولت فيه.

١٩٢ اللكنة: العجمة والعي. الزق (بالضم): الخمر. النقع: الغبار.

١٩٣ الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت. نافقة: رائجة.

١٩٤ نفسي: فرجي وخففي. صعر خده. أماله عن الناس من كبر. السليقة: الطبيعة. الأتون: أخدود الجيار والجصاص.

١٩٦ الوظيفة: المرتب من مال أو طعام. وفرة جعدة: الوفرة ما سال على الأذنين من الشعر، والجعدة ما كان فيها التواء وتقبض.

١٩٧ اليم: البحر. الآل: السراب. تحيف: تظلم. مخايل: دلائل على النجم.

١٩٨ نفق عنده: حظي لديه. دالة: جرأة.

١٩٩ ضرب على وتره: جرى على طريقه. الدن: وعاء الخمر الكبير. اللطف (بالفتح): الرفق. المعتقة: الخمر القديمة. المزاج: مزج الخمر بالماء.

٢٠٠ الصهباء: الخمر. الاصطباح: شرب الخمر صباحاً: المها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية. تدربها: تختلها. القلانس: جمع قلنسوة وهي من أغطية الرأس كالقبعة. تهز بالدلو: ضرب بها في الماء لتمتلىء. أسمت: أرعيت.

٢٠١ السراج: الماشية السائمة. السراة: جمع سري وهو الشريف السخي. الطيرة: ما يتشاءم به من الفأل الرديء. المهرجان: عيد الفرس. القيان: جمع قينة وهي المغنية، النكتة: النقطة البيضاء في الأسود. الخلصان: الخالص من الأخذان بستوي فيه الواحد والجماعة. يلحون: يلومون.

٢٠٣ الآذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود وهو عباد الشمس. الغالية: أخلاط من الطيب. الدكن: جمع أدكن، وهو المائل إلى السواد. الخود: المرأة الشابة. يدحو: يبسط. قوراء: متسعة. الرشاء: الحبل.

٢٠٤ رنتث، مستعار من رنق الطائر إذا خفق بجناحيه ولم يطر.الورس: نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن ويصبغ به. مزعزع، محرك. شول: نقص. تشعشع العمر: تقضى إلا أقله. صور: جمع صوراء؛ وهي المائلة الملتفتة. روان: نواظر، بين هنا: بمعنى تبين أي ظهر. ومنه المثل (قد بين الصبح لذي عينين) مشعشع: مخلوط بعضه ببعض. أذكى: عطر. ريعان ظله: وارف ظله. ربعي: نسبة إلى الربيع. حثحث: حرك. الصنج: صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى للطرب. شدوات: تغريد.

٢٠٥ الغلالة: الثوب الرقيق.
٢٠٦ الحندس: الظلام. المنجل: آلة الحصاد. حلئت: منعت.
٢٠٩ أسرار الوجه. الخطوط التي في الجبهة. الجادي: الزعفران. نسبة إلى الجادية قرية بالشام. أنماط: جمع نمط وهو ضرب من البسط. الاستبرق: غليظ الديباج. النشزات الأمكنة المرتفعة. الفيصل: اللسان مجازاً. أعنق: طويل شامخ.
٢١٠ مالأه عليه: ساعده: العطل: الخلو من الزينة. شرع: سواء. رأد الضحى: أوله. الطفل: قبيل الغروب. الرسيم: نوع من سير الإبل. الأنيق: جمع ناقة. المحتد: الأصل. المحتدي: طالب العطاء. أكبت: أذل. الغضاضة المنقصة.
٢١١ فكأن قد: كأنها قد زالت.
٢١٢ الأربع الأدراس: المنازل المقفرة. المشكاة: الكوة غير النافذة.
٢١٣ النبراس: المصباح. حصف عقله: قوي. الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم. أجياد الكواعب: رقاب الحسان. القتاد: شجر شائك.
٢١٤ الوفر: المال الكثير. مخلق لديباجتيه: ميل لصفحتي وجهه، وذلك كناية عن الابتذال. سرمد: دائم. يفدح: يثقل. فجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين.
٢١٥ يتزاور: يعوج ويميل.
٢١٦ الغث من الكلام. التافه. الحبك: الطرق، جمع حبكة. الجواشن: الدروع. ريق الغبث: أوله. لجب: ذو لجيب وهو الصوت. تدعى: تنتسب. العثير: الغبار. الحدود: الأحكام الشرعية.
٢١٨ عقود عمره: عقد العدد عشرة. يتجشم: يتكلف الصعب. الرواض: مذللو الخيل ومعلمو ركوبها. أفعم وطابه: ملأ وعاءه. أخلاف: جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة. أشلى عليه الكلب: أعراه به. لم يقم له وزناً: لم يحفل به. يطيش سهمه. يخيب. الإحالة: التكلم بالمحال. الثقلان: الإنس والجن. تتيمه: تذلله وتخضعه. كميت الخمر: ما فيها سواد وحمرة. يسبيه: يفتنه: قرن الشمس: قرصها. لصطنعه لنفسه: اختص به. لواعج: جمع لاعج وهو الهوى المحرق. المرار: آخر الشهر وهو المحاق. الإسار: القيد. الإهاب: الجلد. الحسو: الشرب شيئاً بعد شيء. الطنبور: آلة للطرب ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس. لا يزكو به: لا يليق به. يزمصون شعره: يبتذله.
٢٢٣ العراء: الفضاء. العباب: معظم الماء.
٢٢٤ معصفر: مصبوغ بالعصفر وهو نبت أصفر يصبغ به. عاج: مال.
٢٢٦ العير حمار الوحش. ساف: شم. الخزامى: نبت طيب الرائحة. العود المسن من الإبل. أديم الأرض: سطحها. الرفات: ما يلي من العظام. الفرقدان: كوكبان متلازمان. المدلج: السائر آخر الليل.
٢٢٧ الشرى: مأسدة جانب الفرات. الصلال: جمع صل وهو الحية الخبيثة. المسودة: هم العباسيون لاتخاذهم السواد علماً وشعاراً.
٢٢٩ الفلق: الصباح. الأرق: السهاد والسهر.
٢٣٠ السدف: شدة الظلام. تمر بها: تستدرها. القيان: المغنيات. اللهوات: جمع لهاة وهي أقصى سقف الفم. ذو النون: يونس عليه السلام. والنون الحوت. الجداء جمع جدي. السراحين: جمع سرحان وهو الذئب. مبغوم النداء: لم يفصح عما

يريد. يأسو الجرح: يضمده. أخياف: مختلفون. خاسوا: نكسوا وعذروا، انتهاس: نهش. انبجاس: انفجار. همع الدمع: سكب.

٢٣٣ الريم: الغزال.

٢٣٥ الجمانة: حبة من فضة على شكل اللؤلؤة.

٢٣٦ الرشأ: الغزال الأبيض. الرديني: رمح منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تثقف الرماح. الشطب: خطوط السيف. الصوادي: العطاش. يطي: يستهوي.

٢٣٩ شوازياً: مرتفعات. خزراً: جمع أخزر وهو ضيق العين. حشرة آذانها لطيفة صغيرة. قب الأباطل: ضامرات البطون والخصور. الأنسر جمع نسر وهي لحمة في باطن حافر الفرس من أعلاه. الخلوق: الطيب.

٢٤٠ الشلو: بقية الجسم المأكول. القسور: الأسد.

٢٤١ ذات بينهما: الصلة والقربة. ضافية الذيل: طويلته.

٢٤٢ التأسي: التجلد. أنبت: انقطع. النسرين: ورد أبيض عطر قوي الرائحة. الزقوم: شجرة في النار يطعم منها أهلها. والغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار.

٢٤٣ السناء: الرفعة والسنى الضوء. القذال: مؤخر الرأس. العلاوة: أعلى الرأس أو العنق.

٢٤٤ يمتاح فضله: أتاه يطلبه. الفنك: دابة يفترى جلدها أي يلبس فروا.

٢٤٦ مسجور: ملآن. سرجت أغصانها: امتدت وطالت. تفري: تكشف.

٢٤٧ الخضارم: البحار.

٢٤٨ اللمى: الريق. المجرة: نجوم كثيرة لا ترى بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه خط أبيض.

٢٤٩ الشنب: بريق الأسنان. واللعس: سمرة في الشفة. الوعساء: رابية من رمل لينة. الرضاب: الريق. الليل مشمط الذوائب: لاح فجره. الجوزاء: برج من أبراج السماء. انكدرت الشهب: هوت وتساقطت. الافرند: جوهر السيف ووشيه. الربطة: الملاءة.

٢٥٠ همى الغيث: سقط. الحيا: المطر. الثوب المعلم: المنقوش، كنن فيه: ستر. برماً: ضجراً. العفاء: الهلاك والبلي.

٢٥٢ الدبر: جماعة النحل. الضرب الهبر أن ينقطع منه اللحم لشدته. السياق: النزع والاحتضار. الاستنان: من استنان الفرس وهو قمصه وعدوه ونشاطه.

٢٥٦ الصبوح: الشراب صباحاً. الأيك: الشجر الملتف الكثير. المخلق: المعطر بالخلوق. الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

٢٥٧ الظلم (بالفتح): الريق. الشذا: الرائحة. الإثم: الخمر مجازاً.

٢٦٢ المرزأة: المصيبة. الغفوة: النومة. الروح (بالفتح) المساعدة. الإيوان: الصفة العظيمة. الأوار: اللهب. موقرة: محملة.

٢٦٣ تجهم لها: استقبلها بوجه كريه. يتقلص: ينزوي ويتراجع. اللسن: الفصاحة. خامره الداء: خالط جوفه. استشرى الفساد: تفاقم وعظم. المشارع. موارد الشاربين.

٢٦٥ قبع في كسر بيته: انزوى وآحتبس. براذين: جمع برذون وهو دابة دون الفرس وفوق الحمار.

٢٦٦ حباء: عطاء. تقية: مداراة. حدباً عليه. عطفاً عليه. سليط اللسان: طويله وحديده. التنطس: التأنق في كل شيء. عني: كلف العناء. من مليه: عدد له ما أعطاه. راش: أغنى: النشب. المال.

٢٦٧ السواد: ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى، النبط: جيل من العجم ينزلون بالبطائح من العراقين وقيل إنهم عرب. يتحرجون: لا يرون فيه حرجاً ولا بأساً.

٢٦٨ لآخذت عليه: آخذته. مراغ: مذهب.

٢٦٩ أراده على كذا: حمله عليه. التجبيه: المقابلة المكروه.

٢٧٣ الخبز القفار: غير المأدوم. السارية: العمود.

٢٧٥ الغضا: شجر عظيم من الأثل. غض: طري. الجنى: الثمر. تقتحمه العين: تزدريه: انساغ: سهل دخوله في الحلق. اللها: جمع لهاة لما بين مقطع أصل اللسان إلى أقصى الحلق.

٢٧٧ أصفاه: أسبغه وأطاله. مهاواة للملوك: مسايرة لهم. المسكوكات: النقود. والسجلات: الأوراق الرسمية. العاديات. الأشياء القديمة نسبة إلى عاد. أغفال الرواة: جمع غفل لغير المجرب. المفتريات: مختلفات الأحاديث. الجرح والتعديل في الحديث: تنقص الراوي أو تزكيته.

٢٧٨ كل عليها: عبء. الجد العاثر: الحظ السيء.

٢٨٠ الربعة: لا بالطويل ولا بالقصير. يرتضخ: ينزع إلى العجم في ألفاظ من ألفاظهم.

٢٨١ أحفظ: أغضب. ما عتم: ما لبث. اليقين: الموت. حسن البزة: حسن الهيئة.

٢٨٢ انفسح درعه: طال باعه، أندر: أتى بالنادر. السمت: هيئة أهل الخير.

٢٨٤ انضوى إليه. انضم. صدع. جاهر. أمضى الركائب في طلبها: أطال السفر في البحث عنها. حداه إلى كذا: دعاه إليه. العامهة: الحائرة. ظهراء: نصراء. إشراف: تعالي. بشكائم: الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس. غفلا: لم يسم واضعوها. الدثور: الدروس. الدهماء: جماعة الناس.

٢٨٥ ولا بدع: لا غرابة.

٢٨٦ نكل عنه: نكص وجبن: أبيقوري: شهواتي نسبة إلى أبيقور أحد فلاسفة اليونان. مستهتر: لا يبالي بما فعل.

٢٨٧ خانقاه: مكان الصوفية. توسط باحتها وشارف غايتها: كنايتان عن التضلع منها. شخص: ذهب. التناسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر، تقمصت: انتقلت أو لبست.

٢٨٨ الحلولية: فرقة من المتصوفة تقول إن اللّه حال في كل شيء متحد بكل جزء وتجوز أن يطلق على كل شيء أنه اللّه.

٢٩٥ انتكث فعله: انتقض أمره. الأرزاء: المصائب، عفى على اللغة: محاها. النعرة: الخيلاء والكبر. الردء: العون، الوزر: الملجأ.

٢٩٦ رنقت عليه المنية: رفرفت عليه كالطائر، والذماء: بقية الروح. الأرضة. دويبة تأكل الخشب والكتب. وزحوا: هلكوا من الإعياء. أغطشت. أظلمت، دياجير: جمع ديجور وهو الظلام. شارق: كوكب. بارق: برق.

٢٩٧ ما كان أروح: ما كان أسر. تخونتها: تنقصتها.

٢٩٨ بلة الفصاحة: قليل منها. الإحماض: الانتقال من الجد إلى الهزل.

٣٠١ السراوة: المروءة والسخاء.

٣٠٢ أقيال: جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير.

٣٠٣ انثالت على: تتابعت وكثرت.

٣٠٧ ارفض عنها الوهن: زال الضعف.

٣٠٨ ذكا: اشتعل. العفاء: البلي. خبا: خمد.

الأريكة: سرير منجد مزين. خبا أوراها: ضعف شأنها.

٣٠٩ الخانعة: الذليلة.

٣١٩ النافق: الرائج. تجلو عنها أعقاب العلة: تبرأ من بقاياها. ديمستين: أخطب الناس في اليونان ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ قبل الميلاد. شيشرون: أفصح خطباء الرومان ولد سنة ١٠٦ وتوفي سنة ٤٣ قبل الميلاد. الاصفاء، أصفى الشاعر: انقطع شعره. شبل في نعمة أبيه: ربي يحبو للسابعة: يناهزها. أضراهم أجرأهم. يبلغ الكتاب أجله: يبلغ الحكم أمده. اللدد: الخصومة الشديدة. رجال المايين: موظفو البلاط العثماني أيام الخلافة.

obeikandl.com